٦١

تاريخ المصريين

تاريخ الإسكندرية
فى العصر الحديث

بقلم

د. عبد العظيم رمضان



إهـــــــداء ٢٠٠٩

أسرة المرحوم الأستاذ / سامي خشبة

جمهورية مصر العربية

تاريخ الإسكندرية
في العصر الحديث

بقلم

د. عبد العظيم رمضان



تقديم

تعد هذه الدراسة التى أقدمها عن مدينة الاسكندرية دراسة فريدة فى سلسلة الدراسات التى قدمتها فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر • فقد درجت فى الدراسات السابقة على تناول موضوعات مجهولة فى تاريخ مصر ، أو موضوعات لم تدرس بعد دراسة علمية أكاديمية ، لأكشف غوامضها وألقى الضوء على جوانبها، وهو ما يتفق مع المعنى الحقيقى لكلمة دراسة تاريخية ، ولكنى فى هذه الدراسة عن مدينة الاسكندرية أقوم بمهمة أخرى هى اعادة اكتشاف قديم سبق اليه غيرى من الباحثين بدراسات موسعة ، لأقدمه الى القارىء فى دراسة مركزة تبرز أهم خطوط الفترة التى تناولتها ، وهى العصر الحديث ، وبتركيز أكثر على الفترة من الحملة الفرنسية الى الثمانينيات من هذا القرن •

وأظن أن مثل هذه الدراسات المركزة لا تقل أهمية عن الدراسات الموسعة لمن لا يتطلب تخصصه التعمق والتوسع فى دراسة حقبة معينة ، كما أن مكتبتنا العربية

مفتقرة اليها ، فقد درجت العادة فى مثل هذهالدراسات المركزة أن تكون دراسات مسحية سطحية تفتقر الى المنهج العلمى، بالاضافة الى أنها دراسات متعجلة غالبا• ولكن لم تجر العادة على تقديم دراسات علمية مركزة تتحرى المقاييس العلمية للدراسات التاريخية ، لأن مثل هذه الدراسات تتطلب ــ فى العادة ــ نفس الوقت الذى يقضى فى الدراسات الموسعة ، دون أن ينعكس طول هذا الوقت على طول الدراسة وتقديم كل ما حصل عليه الباحث من مادة البحث !

وهذا هو ما حدث فى هذه الدراسة المركزة التى بين يدى القارىء ، فان الوقت الذى بذل فى دراستها كان يكفى لتقديم عمل علمى أكبر حجما ، فالبحث العلمى هو البحث العلمى ولا يوجد وسط ، والمصادر والمراجع التى يرجع اليها فى العمل العلمى الموسع هى نفس المصادر والمراجع التى يرجع اليها فى العمل العلمى الموجز ، والا حفلت الدراسة بالأخطاء العلمية والوقائع التاريخية المحرفة والآراء المتعجلة ، وهو ما يسلب من الدراسة صبغتها العلمية •

ولقد عالجت فى هذه الدراسة تاريخ مدينة الاسكندرية منذ أن نزلتها الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال بونابرت فى ليلة ٢ يوليو سنة ١٧٩٨ حتى العصر الحاضر • وكان من الضرورى التعرف على حالتها

الاجتماعية والاقتصادية والحضارية قبل نزول الحملة فى المراجع السياسية التي تعرضت لها ، وكان على رأس هذه المراجع كتابات علماء الحملة الفرنسية عما شاهدوه وسطروه فى كتاب « وصف مصر » . وقد وجدت فيما كتبه جراتيان لوبير عن مدينة الاسكندرية ، مادة كافية، ومن حسن الحظ أن هذه المادة قام بترجمتها الى العربية ترجمة جيدة المرحوم زهير الشايب فى الجزء الثالث من ترجمته لكتاب « وصف مصر » .

أما المحاولات الأوروبية التى جرت قبل الحملة الفرنسية لاحياء الطريق البرى بين السويس والاسكندرية ، وما كتبه الرحالة الفرنسيون عن أهميتها الاستراتيجية ، فقد وجدت مادة كافية عنها فى كتاب الأستاذ الدكتور محمد فؤاد شكرى عن : « الحملة الفرنسية وظهور محمد على » ، وأيضا فى الكتاب الذى قمت بترجمته لجون مارلو عن «تاريخ النهب الاستعمارى لمصر » وصدر عن هيئة الكتاب .

وعن أوضاع الاسكندرية أثناء الحملة الفرنسية، استفدت مما كتبه « كرستوفر هيرولد » فى كتابه « بونابرت فى مصر » ، الذى أصدرته دار الكتاب العربى للطباعة والنشر مترجما . كما استفدت مما كتبه المرحوم عبد الرحمن الرافعى فى كتابه « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر » ، الذى

صدر فى جزءين ، وعالج فيه الحركة القومية فى مصر من الحملة الفرنسية حتى ارتقاء محمد على أريكة مصر، وهو من أحسن الكتب التى ألفها المرحوم الرافعى .

وأما عن العلاقة بين كل من انجلترا والدولة العثمانية من جهة وفرنسا من جهة أخرى ، ونتائجها على مصير الحملة الفرنسية ، فقد استفدت من العمل الموسوعى الذى قدمه الدكتور محمد فؤاد شكرى عن : « مصر فى مطلع القرن التاسع عشر ، من ١٨٠١ الى ١٨١١، وطبعته كلية الآداب بجامعة القاهرة فى عام ١٩٥٨ ، وهو أحسن ما قدم عن هذه الفترة . ويكمل هذا العمل الجليل كتاب الدكتور شكرى الآخر عن « عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر » ، الذى أصدرته جماعة الأزهر للنشر والتأليف » فى عام ١٩٥٢ . وأهمية هذه الكتب أن المؤلف رجع فيها الى عدد هائل من المراجع والمصادر والوثائق الأجنبية ، بالاضافة الى المراجع والمصادر المصرية . وتمكن بذلك من مسح تلك الفترة مسحا علميا وتاريخيا مستفيضا .

وبطبيعة الحال فان هذه الكتب قد خدمت أيضا فترة الاحتلال الانجليزى الأول للاسكندرية ، وأحوال الاسكندرية فى عهد الفوضى المملوكية ، وحملة فريزر. وولاية محمد على الحكم . والعلاقات بين الدولة العثمانية والدول الكبرى، فضلا عن الصراع الذى دار

بين محمد على والمماليك والانجليز ، حتى استيلاء محمد على على الاسكندرية ، وضمها الى ولاية مصر ودخولها فى نطاق باشوية القاهرة ٠

وقد استفدت فى الكتابة عن الاسكندرية فى عصر محمد على وخلفائه بكتب الرافعى عن : « عصر محمد على » ، و « عصر اسماعيل » وهو فى جزءين ، بالاضافة الىالعمل العلمى الهام : «بناء دولة ، عصر محمد على» ، الذى ألفه كل من الدكتور محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل ، وصدر فى عام ١٩٤٨ ، ويشمل الوثائق والتقارير الأجنبية بالاضافة الى الوثائق التاريخية المصرية ٠

أما عن الاحتلال البريطانى للاسكندرية ، فقد استفدت فيه بكتاب الرافعى عن : « الثورة العرابية » ، الذى صدر فى عام ١٩٣٧ ، بالاضافة الى العمل الموثق الذى قدمه الآمير عمر طوسون عن : « يوم ١١ يولية ١٨٨٢ » الذى صدر عام ١٩٣٤ ، خصوصا فيما قدمه عن حصون الاسكندرية والسفن الانجليزية التى ضربتها فى ذلك اليوم ٠

وقد استفدت من كتاب : « مجتمع الاسكندرية عبر العصور » الذى قدمته كلية الآداب بجامعة الاسكندرية فى عام ١٩٧٥ ، ويشتمل على المحاضرات التى ألقيت فى ندوة علمية بكلية الآداب فى أبريل ١٩٧٣ بالتعاون

مع الجمعية التاريخية المصرية وذلك فى معالجة تاريخ الاسكندرية الاجتماعى فى فترة الاحتلال البريطانى وفى عهد الاستقلال الوطنى • وقد استفدت خاصة من دراسة الدكتور عمر عبد العزيز عن « مجتمع الاسكندرية فى العصر العثمانى » ، ودراسة الدكتور حسن محمد صبحى عن « المؤثرات الأوروبية فى مجتمع الاسكندرية فى العصر الحديث » ، ودراسة الدكتور محمد محمود السروجى عن «مجتمع الاسكندرية والحركة الوطنية ، ودراسة الدكتور محمد زكى العشماوى عن « الحركة الأدبية فى الاسكندرية » ، ودراسة الأستاذ شارل شميل عن: «صحافة الاسكندرية »• هذا فضلا عن كتاب هيئة الاستعلامات عن مدينة الاسكندرية الذى صدر عام ١٩٨٧ •

ولعل هذا العرض يوضح للقارىء أن العمل الذى بذل فى هذا الكتاب يساوى العمل الذى يبذل عادة فى كتاب يفوقه حجما ومادة ، ولكنه يتيح للقارىء الاحاطة بتاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الحديث فى أقل عدد من الصفحات •

فهو يتابع حالة الاسكندرية قبل الحملة الفرنسية، والمحاولات التى مهدت لها لاعادة احياء الطريق البرى بين السويس والاسكندرية ، ووصول الأسطول الانجليزى بقيادة نلسون اليها قبل وصول الأسطول الفرنسى ،

والصراعات السياسية والعسكرية الدولية والمحلية التى دارت فى الاسـكندرية أثنـاء الحملة الفرنسية حتى خروجها من مصر . كما يتناول الاسـكندرية فى فترة الاحتلال الانجليزى الأول، وفى عهد الفوضى المملوكية. وحملة فريزر . وولاية محمد على الحكم . كما يتـابع محاولات محمد عـلى لاحياء الاسـكندرية واعادتها الى مكانتهـا التى فقدتهـا عـلى مدى قرون . وأوضـاع الاسكندرية أثناء الثورة العرابية ، واحراقها عـلى يد سليمان داود عند انسحاب القوات العرابية . ثم حالة الاسـكندرية فى أثنـاء الاحتـلال البريطانى وزيادة الطابع الأوربى لها ، ونشاط الأوروبيين فيها ، وينتهى بما صارت اليه مدينة الاسكندرية فى عهـد الاستقلال الوطنى ، وتفوقها على مركزها الأول .

ولعلى بذلك أكون قد ألقيت شعاعا من الضوء عـلى تاريخ هذه المدينة العظيمة .

مصر الجديدة فى ١٠ فبراير ١٩٩٣

د . عبد العظيم رمضان

الحالة الحضارية للاسكندرية عند مجيء الحملة الفرنسية :

يخطيء من يظن أن الأهمية الاستراتيجية لمدينة الاسكندرية عند مجيء الحملة الفرنسية كانت هي نفس الأهمية التي كانت لها في عهد البطالمة ، عندما كانت عروس المدائن ، ومركز تجارة العالم ــ يسكنها نحو ستمائة ألف نسمة ، أو في عهد الرومان ، حين كانت المدينة الثانية في العالم ــ وانما تعرضت هذه الأهمية للتدهور ابتداء من فتح العرب لمصر ، عندما انتقل محور علاقاتها الخارجية من أوروبا (اليونان ــ روما ــ القسطنطينية) الى آسيا (شبه جزيرة العرب ــ دمشق ــ بغداد) وانتقلت العاصمة الى الداخل (الفسطاط ــ القطائع ــ القاهرة) ومع ذلك ظلت مزدهرة حتى نحو نهاية القرن الرابع عشر ، حسبما يذكر أبو الفداء الذى قام بزيارة لها في سنة ١٣٨٣ م ٠

ومع بداية العصر الحديث أخذت الاسكندرية تفقد أهميتها بشكل ثابت تحت عاملين : الأول ، اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح الى الهند في عام ١٤٩٧ ، وتحول الشطر الأكبر من التجارة بين

أوروبا والهند الى طريق المحيط الأطلنطى ، مما أفقده الاسكندرية أهميتها كطريق بين الغرب والشرق ، ومستودع للمتاجر ، الأمر الذى أدى الى اضمحلالها تدريجيا • ثانيا ـ الفتح العثمانى لمصر ، وانتهاج العثمانيين سياسة عزل مصر عن العالم الخارجى خوفا من خطر الاستعمار الغربى ـ وعزوفهم عن احياء تجارة الشرق حتى لا يأتى الاستعمار فى أعقاب التجارة • وقد ذهبوا فى ذلك الى حد فرض تقليد جديد يقضى بمنع المراكب الأوروبية من الدخول فى البحر الأحمر ، بحجة أنه يطل على الأماكن المقدسة للمسلمين فى الحجاز ، وهو التقليد الذى ظلت الدولة العثمانية متمسكة به حتى أواخر القرن الثامن عشر •

وقد جرت بعض المحاولات لاحياء الطريق البرى بين السويس والاسكندرية عندما كان الحكم فى مصر يقع فى يد بعض المماليك الأقوياء الذين كانوا يستأثرون بحكم مصر • فحوول عقد معاهدة بين هيستنجز Hastings حاكم البنغال وعلى بك الكبير ، تؤمن التجارة الانجليزية من الاعتداء عليها أثناء نقلها من السويس الى الاسكندرية ـ ولكن الحوادث فى مصر أطاحت بعلى بك الكبير • وقد نجح الانجليز فى عقد المعاهدة مع خلفه محمد أبو الذهب فى ١٧ مارس ١٧٧٥ • ولكن الدولة العثمانية اعترضت على هذه المعاهدة على أساس أن الاحترام الواجب للحرمين الشريفين لا يجيز للسفن

الانجليزية الملاحة فى البحر الأحمر شمالى جدة ، وخوفا من أن يؤدى احيـاء الطـريق البرى الى زيادة ثـروة المماليك وتشجيع اتجـاهاتهم الانفصـالية عن الدولة العثمانيـة • وقد تلى ذلك نجـاح تروجويه Truguet مندوب سفير فرنسا فى الآستانة ، فى عقد معاهدة مـع مراد بك فى ينـاير ١٧٨٥ ، فى اطار اهتمام فرنسـا بمصر كحلقة من حلقات الصراع بينها وبين بريطانيـا حول الهند • لكن ذلك كله لم يسفر عن اعادة الفاعلية للطريق البرى بين السويس والاسكندرية •

وقد ترتب على ذلك أنه عند مجىء الحملة الفرنسية الى مصر كانت الاسكندرية قد تحولت الى مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة ، عمرانهـا متهدم ، وبيوتها أشبه ببيوت القرى ، وشوارعها ضيقة كثيرة التعاريج ، ومعظم سكانها فقراء ـ ولم يبق من الاسكندرية القديمة سوى الاسم والأطلال الدارسة •

على أن أهميتها الاستراتيجية باعتبارها مدخلا الى مصر أخذت تتزايد ـ مع ذلك ـ مع تزايد اقتناع فرنسا بضرورة احتلال مصر ، احياء لفكرة فتح ميادين جديدة للاستعمار فى الشرق تعويضا عن مستعمراتها فى الهند الغربية من جهة ، ومن جهة أخرى للتدخل فى الهنـد وطرد الانجليز منها والتمكن بفضل ذلك من القضاء على تجارتهم فى الشرق •

وقد كان الذى أبرز الأهمية الاستراتيجية للاسكندرية الرحالة الفرنسيون • فقد زار البارون دى توت Tott مصر فى أوائل يونية ١٧٧٧ موفدا من وزير البحرية الفرنسية ، لتقديم تقارير عن شواطىء الليفانت ، وكتب مذكرة تحت عنوان : « ملاحظات على الشواطىء المصرية » وصف فيها سوء حالة التحصينات فى الشاطىء المصرى الشمالى ، على مدخل الاسكندرية فى ميناءيها الجديد والقديم ، ثم فى أبى قير التى قال عنها « انها ذات فرصة واسعة لرسو المراكب بأمان » ، اذ لا تحميها سوى قلعة واحدة فقط ، ويعوز الجند الذخيرة ، وفى حال أسوأ من الاسكندرية ، وفى عام ١٧٨٧ زار فولنى مصر ، ووصف الاسكندرية من الوجهة الحربية ، فقال : انها لا قيمة لها اذا لا توجد بها أية تحصينات ولا يوجد بها قلعة ذات شأن أو خطر ، أما قلعة المنارة (طابية قايتباى) بأبراجها العالية ، فانها لا تصلح للدفاع عنها ، اذ ليس بها سوى أربعة مدافع صالحة للضرب ، وحاميتها المؤلفة من خمسمائة من الانكشارية نقص عددهم ! النصف تقريبا ، وصاروا لا يدرون من فنون الحرب شيئا ، ويمضون وقتهم فى التدخين ، وان فرقاطة واحدة تكفى لهدم المدينة ، وعندما قرر بونابرت الحملة على مصر أراد أن يصحب معه فولنى ، ولكنه اعتذر بكبر سنه ، فاكتفى بونابرت بأن يحمل معه كتاب « رحلة فولنى Volney » الى مصر •

كانت الاسكندرية التى نزلت اليها الحملة الفرنسية قد تحولت الى بلدة صغيرة تقع شمالى المدينة القديمة ، وتنحصر فى شبه الجزيرة التى بين الميناء الشرقى والميناء الغربى · ومن المعروف أن الاسكندرية ، بنيت فى مكان قرية على شاطىء البحر المتوسط تجاه جزيرة فاروس ، ثم تم توصيل القارة بالجزيرة عن طريق جسر ضيق اتسع تدريجيا عن طريق الردم ، فتكون من هذا الاتصال ميناءان هما : الميناء الشرقى ، والميناء الغربى · أما الميناء الشرقى ويعرف باسم الميناء الكبير Magnus Portus فى عهد البطالمة ، وكان يعرف باسم « مرسى السلسلة » وفقا لليون Jean Lèon d'Afrique فكان يتكون من خليج صغير شبه دائرى تبلغ فتحته من الشمال ۱۷۸۹ مترا ، ومحصور بين سلسلة من الشعب الصخرية التى تقلل من اتساع الممر القابل لمرور السفن الى حوالى ٥٠٠ متر ، وتجعله ، نظرا لانفتاحه كلية أمام رياح الشمال والشمال الشرقى عاجزا عن استقبال كل السفن فيما عدا بعض الفرقاطات والسفن الحربية الصغيرة · وكانت السفن الأوروبية لا ترسو الا به ، اذ كان محظورا عليها الرسو فى الميناء الغربى بأمر حكومة المماليك · وعلى شاطىء هذا الميناء كان يوجد الجمرك ودور القناصل ·

وفى النهاية القصوى من هذا الميناء من الناحيـة الشمالية توجد القلعة المعروفة باسم «طابية قايتباى» . التى بناها السلطان الأشرف قايتباى فى القرن الخامس عشر ، ويسميهاالفرنسيون باسم « قلعـــة المنـارة » Le Phare لأنها أنشئت فى المكان الذى كان به منارة الاسكندرية القديمة المعدودة احـدى عجـائب الدنيـا السبع . وعلى مدخل الميناء الشرقى من الجهة الشرقية المقابلة لقلعة قايتباى يوجد برج السلسلة القائم أثره حتى اليوم ، ويسميه الفرنسيون Phazillon

أما الميناء الغربى ، أو الميناء القديم Port Vieux فهـو الـواقع بين شـبه جزيرة رأس التين والبر . وهـذا الميـنـاء فسيح وعميق والرسـو فيـه مأمون ، وتستطيع أكبر السفن التجارية أن ترسو هناك عـلى مسافة قصيرة . وذلك نظرا لأن مرتفعات شبه جزيرة رأس التين تجعله كليـة فى حمى من رياح الشـمال الغربى وكذا رياح الشمال والشمال الشرقى . وكان دخوله محرما على السفن الأوروبية . وفى هذا الميناء توجد الترسانة ومخازن البحرية التى كانت على درجة كبيرة من التأخر والاهمال . كما توجد بقايا مصانع قديمة ومبان أخرى من الطوب والأسمنت . ويدافع عن الرأس الواقع جنوب غرب شبه جزيرة رأس التين طابية تتسمى باسـم رأس التين . وهنـاك حصـنان

آخران لهما طابع عربى يحميان الميناء من الداخل ٠ وهذا الجزء من شبه الجـزيرة مخصص فقط لمقـابر المسـلمين ، وبه المدافن الخاصة بالعائلات ، وهى من الرخام الأبيض أو من الحجر الجيرى ٠ وفى النهـاية القصوى لشاطىء الميناء الغربى الجنوبى يوجد اللسان المعروف بجهة العجمى ، والمسافة بينه وبين رأس التين فى شمال الميناء ٨٣٠٠ متر على خط مستقيم ٠ واسم « العجمى » يرجع الى اسم مسجد باسم مسجد الشـيخ العجمى ، أقيم حوله حصن أو قلعة صغيرة عـلى قمـة السلاسل الصخرية الى الجنوب الغربى من الخليج ٠

وتقع مدينـة الاسـكندرية بين الميناءين ، وقد بنيت فوق صخرة جيرية ضاربة الى البياض ، وتغطيها فى جزء منها كثبان رمليـة متحركة ٠ وعنـد مجىء الحملة الفرنسية الى الاسكندرية لم تكن المدينة تضم أى مبنى له أهمية ، وكانت مساجدها الرئيسية التى يبلغ عددها من ٢٥ الى ٣٠ مسجدا ، وكذلك الوكالات والمتاجر العامة والبيوت الخاصـة والأرصفة كذلك . تمتلىء بأعمدة من الحجر الجيرى أو الرخام أو الجرانيت أو الألبستر، وتوجد عليها نقوش قديمة ، وهى مأخوذة من قصور قديمة خربة ٠ ولم يكن من بين كل هـذه المنشآت منشأة واحدة تستحق وصفا خاصـا ، وكان البناء والتوزيع الداخلى للبيوت بالغ السـوء ويستعصى على الفهم ، ولا تشكل واجهات البيـوت الا واجهـات

ملساء تميل الى البياض ، وتخترقهـا نوافذ صـغيرة تغطيها تقفيصات من الخشب • أما شوارعها الضيقة ، غير المرصوفة ، والتى ليس بها أى مجرى لتصريف مياه المطر ، فكانت تظل متربة أو موحلة حسب الطقس ، وكل شىء يساهم فى اعطاء المدينة مظهرا حزينا وطابعا رتيبا فى نظر كل أوروبى تجذبه الى هذه المنطقة من العالم التجارة أو حب السياحة •

وكانت حدود العمران فى الاسكندرية فى أواخر القرن الثامن عشر تنتهى شمالا فى مقابلة شبه جزيرة رأس التين ، فكانت جميع الجهـات الواقعة بين البحر شمالا وشارع أبى وردة الى جامع أبى العباس بعضها مدافن وبعضها نقع ، ولم يكن بها مساكن سوى بعض بيوت للصيادين المعروفة بالسيالة • وكان حد المدينة من الجهة القبلية الحارة المعروفة الآن بحارة المغـاربة قريبا من ميدان محمد على • ويكفى لمعرفة مدى تقلص المدينـة فى ذلك العصر أن نعرف أن موضـع عمـود السوارى كان يبعد عن المدينـة بنحـو كيلو ونصـف جنوبا •

ويقول جراتيان لوبير Gratien Le Pere فى دراسته عن مدينـة الاسـكندرية التى قام بهـا أثناء الحملة الفرنسية انه لا يمكن تحديد فترة زمنية معينة أنشئت فيها هذه المدينة الحديثة ، فقد بنيت وسـكنت ــ من

جهة ـ مع اتساع ترسيبات الرمال تدريجيا الى الشمال، ومن جهة أخرى عندما كانت الحروب المدنية والدينية، أو تلك التى تشنها الدول الأجنبية ، تنشب لتسبب فى المدينة القديمة دمارا يدعو الى هجرها بشكل جزئى ٠

توضح الدراسات عن أسوار الاسكندرية التقلص التدريجى للمدينة عبر العصور ٠ فقد كان للمدينة سور بناه البطالمة ، كشف عن موقعه العالم المصرى محمود باشا الفلكى فى رسالة باللغة الفرنسية طبعها سنة ١٨٦٦ ، وكان يضم شوارعها ومسارحها ومتاحفها ومكتبتها الشهيرة وقصورها ومبانيها وضواحيها ٠ ورسالة محمود باشا الفلكى مقرونة بخريطة من ابدع ما رسمه العلماء والمهندسون ٠ ثم بنى سور جديد للاسكندرية فى عهد أحمد بن طولون على الأرجح ، وجدد بناءه السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ثم السلطان الظاهر بيبرس ، ويسميه الأوروبيون سور العرب ٠ وكان طوله الدائرى ٧٨٩٣ مترا ، ويتخلله مائة برج، وبعض هذه الأبراج غاية فى الفخامة والمناعة ولا فرق بينها وبين القلاع الحصينة ، وهو الذى امتنع به الاسكندريون عند هجوم الجيش الفرنسى على المدينة ٠ ويحدد هذا السور حدود عمرانها فى عهد الدول الطولونية والأيوبية والمملوكية ، وهو نصف ما كان يحده سور البطالمة القديم ٠ ومع ذلك فان هذا السور

في عهد البكوات المماليك، ومع تقلص عمران المدينة ، لم يكن يحيط الا بفضاء عظيم من الخرائب الخالية من المساكن ، يسير فيه الانسان عدة ساعات دون أن يرى من معالم العمران سوى الأطلال الدراسة ، ولم يبق به الا صهاريج المياه وأربعة كفور يسكنها خدام البساتين التي بداخل السور وحراس القلاع والأبراج • وكان معظم هذه الأبراج متخربا، وفي السور ثغرات وفتحات بسبب الاهمال وسوء الادارة • وبه خمسة أبواب : اثنان يطلان على واجهة المدينة في الشمال . وواحد في الشرق . وهو « باب رشيد » ، والثالث في الجنوب، وهو باب سدره . والخامس في الغرب يؤدى الى الميناء الغربي عن طريق الحصن المثلث • وتركز العمران في الجزء الشمالي المحصور بين الميناءين •

وفي عهد الحملة الفرنسية كانت الاسكندرية قد انعزلت عن القاهرة وداخلية البلاد ، بسبب جفاف ترعة الاسكندرية وتوقف الملاحة فيها بعد أن كانت طريق المواصلات النيلية الى الثغر • وكانت ترعة الاسكندرية موجودة في عهد الفراعنة . مع اختلاف في التخطيط ، وقد عنى بها البطالمة لأهميتها التجارية للاسكندرية حيث كانت طريق الملاحة بينها وبين النيل• وفي سنة ٨٧٢ ــ ٨٧٣م أمر أحمد بن طولون بحفرها بتخطيطها الذى صارت اليه ، ثم جدد السلطان الظاهر بيبرس حفرها ، كما جدد حفرها السلطان الناصر

محمد بن قلاوون ، واشتغل فى حفرها وتطهيرها ٤٠٫٠٠٠ عامل ـ وأقيمت عليه القناطر والسدود ، وجرت فيها السفن طول السنة ، واستغنى أهل الاسكندرية عن شرب ماء الصهاريج ، وعمرت الأراضى والبلاد على جانبيها ثم أهمل الولاة الأتراك والبكوات المماليك شأن هذه الترعة ، حتى جفت ، وارتفع قاعها عن ضعف عمقها الأصلى ، فكان لا يدخلها الماء فى معظم السنين الا فى وقت زيادة النيل ثم تجف بقية السنة • وكان أهل الاسكندرية يحتفلون بمجىء مياه الترعة ويخزنون الماء فى الصهاريج ويبتهجون بذلك كما يبتهج سكان القاهرة بمهرجان وفاء النيل • وفى عهد الحملة الفرنسية بلغ عدد صهاريج الاسكندرية ٣٠٨ ، وكانت تسع من المياه ما يكفى المدينة مدة ثمانية عشر شهرا • وقد كان بسبب جفاف مياه ترعة الاسكندرية أن كانت المتاجر الأوروبية تصل اليها من ثغور البندقية ومارسيليا وثغور السلطنة العثمانية ، ثم تنقل منها الى رشيد بحرا فى المراكب المصرية المعدة للملاحة فى النيل ، وتمضى فى فرع رشيد الى القاهرة •

وقد وصف جراتيان لوبير صهاريج تخزين المياه بأنها منشآت بنيت تحت الأرض ، ولها قباب تدعمها عواميد على شكل قناطر مقوسة من طابقين أو ثلاثة

طوابق ، جدرانهـا الداخلية مطلية بطبقة سميكة من الأسمنت الأحمر المسـمط ، الذى لا تنفذ من مسـامه المياه ، وقد أنشئت عـلى قيعان متفـاوتة الارتفاع ، ولكنها على الدوام أدنى من سطح البحر بحوالى ٥ ـ ٦ أمتار ، وهى واسعة وعميقة ومتعددة الفتحات ٠ وكان عدد هذه الصهاريج قبل مجىء الحملة الفرنسية ببضع سنوات يصل لحوالى ٣٨٠ ـ ٤٠٠ ، لكنه بسبب الاهمال فى الصيانة وصل الى ٣٠٨ كما ذكرنا ٠

وعـلى الرغم من أن عـدد الحمـامات فى مدينـة الاسكندرية فى الماضى كان هائلا ، الا أنه تناقص فى عهد الحملة الفرنسـية الى حمـامين أو ثلاثة فى كل أطلال المدينة ، وكان واحد منها مفتوح للعامة ، وهـو يشبه كل الحمامات المفتوحة للعامة فى القاهرة وسائر المدن المصرية ٠

ومن المنشآت التى جـذبت الاهتمام مسـلتان من الحجر الجرانيتى عرفتا باسـم مسلتى كليـوباترة ، احـداهما مقلـوبة ، والأخـرى قائمـة ، وحجماهما متماثلان ، وكان ارتفاع المسـلة المقلوبة حتى القمـة الهرميـة هو ١٨ر٥١٦ مترا وعرضـها ٢ر٣٨٢ مترا وفقا لقيـاس جراتيان لوبير ،الذى يتحـدث عن نزح المسلات من مصر على يد أباطرة الشرق والغـرب من

القسطنطينية الى روما ، ويقول انه فى رحلته الى روما أحصى حوالى ١٠ الى ١١ مسلة ارتفعت فى زهو لتتحدث عن أمجاد روما ·

كذلك وجد من هذه المنشآت عمود السوارى ، الذى كان معروفا الى ذلك الحين باسم عمود بومبى ، وسط أطلال معبد السرابيوم ، وقد أقامه أهل الاسكندرية بأنفسهم وأهدوه الى الامبراطور الرومانى دقلديانوس تقديرا منهم لانقاذهم من احدى المجاعات · وكان الهدف من اقامته أن يستعمل دليلا للسفن التى يمكنها أن تلمحه على بعد يزيد على فرسخين ·

وقد عثر بين كثير من الخرائب على ديرين ومعبد يهودى · أما المعبد فكان يقع بالقرب والى الجنوب من مسلتى كليوباترة ، وتقع مقابرهم الى ما وراء المدينة الخربة الى الشرق من برج الرومان · والى الشرق من المعبد يوجد دير يونانى · وفى وسط المدينة الخربة يوجد دير آخر للمسيحيين الكاثوليك · كذلك وجد مسجدان : الأول هو جامع السبعين ، والمسجد الثانى هو جامع سانت أثناز ، وكان فى أصله كنيسة بنيت فى نهاية القرن الثالث على يد الأسقف سانت أثناز ، ثم حولها العرب الى مسجد بعد أن أصبحت كنيسة القيصرون أو الكيزاريوم Coes-arium هى الكنيسة

الرئيسية ، وسمى هذا المسجد بالجامع الغربى أو جامع الألف عامود · ويحتوى هذا المسجد على رواق بالغ القيمة وبه حوض من الرخام الصناعى الأخضر ، وقد ظل مجهولا حتى مجىء الحملة الفرنسية التى كانت تنوى نقله الى فرنسا لولا تطور الأحداث ·

وعلى شاطىء الميناءين الشرقى والغربى كانت توجد بعض الأرصفة البحرية لتسهيل عملية الابحار ، فضلا عن المحال والمبانى الأخرى المرتبطة بخدمة ورش اصلاح السفن ، والتى كانت فى حالة من الاهمال والخراب يشهدان على روح اللامبالاة من جانب الحكومة التركية التى تركت كل شىء يتآكل وينهار دون ترميم أو صيانة ·

وقد بنيت فى الاسكندرية بعض السفن التجارية الكبرى ، وسفن الكرافيل ، وهى نوع من الفرقاطات التركية المزودة بـ ٤٠ الى ٥٠ مدفعا ، والمراكب التجارية التى تقوم بالتجارة ونقل البضائع بين المدن الساحلية أما طبقة السكان التى تعمل فى خدمة البحرية، فكانت تسكن شواطىء الميناءين ، وبالذات الشواطىء الواقعة الى الجنوب من شبه جزيرة فاروس · أما أهل الاسكندرية الذين يعملون بالصيد أو بالتجارة الساحلية فكانوا بحارة شديدى المراس وغطاسون ذوو مهارة ·

وقبـل مجىء الحملة الفرنســية الى مصر كانت الاسكندرية تضم ـ حسبما يذكر أوليفييه Olivier ٨٨ مسجدا ، من بينها ٣٦ مسجدا من الدرجة الأولى ، و٤٢ من الدرجة الثانية ، و٢٠٠ نول لصنع المنسوجات الحريرية الخفيفة والخاصة بملابس الطبقة الثرية من كلا الجنسين ، و ٤٠٠ نـول لنســج قماش التيل الذى يرتديه أبناء الطبقات الشــعبية ، و ٥٠ نولا لصــنع منســوجات صــوفية لمــلابس العربان ، و ٣٠ مصنعا للصابون تستورد الزيوت اللازمة لها من شبه جـزيرة المورة وكريت وسوريا . كما كان يصنع فى الاسكندرية أيضا الجلد المراكشى الأحمر ـ وهى جلود ثمينة بالغة الجودة .

وكان تعداد شعب الاسكندرية أثناء فترة وجـود الحملة الفرنسية يبلغ ـ وفقا لجراتيان لوبير ـ ثمانية آلاف نسمة ، وقد تناقص الى سبعة آلاف فقط عنــد جلاء الفرنسيين . ويتكون هذا الشعب من مصريين ، ومن أتراك وعرب ومغاربة وأروام وسوريين ويهود، ومن بعض المسيحيين من الأوروبيين . وقد نقص هذا العدد الى سبعة آلاف عند جلاء الفرنسيين ، بسبب اضطراب الأحوال فى الاسكندرية عقب الاحتــلال الفــرنسى ، وكثرة ما فرضه الفرنسيون من الغرامات والمصادرات، والى الحصار البحرى الذى ضربه الانجليز عليها ، ثم

ركود حركة التجارة وظهور وباء الطاعون الدملى فيها ، الذى كان يأتيها كل عام .

ومن الواضح أن الاسكندرية كانت قد فقدت أهميتها العلمية ، فلم يظهر بها عدد يعتد به من العلماء المبرزين كما كان الحال فى القاهرة التى كان فيها الجامع الأزهر . بل ان بعض علماء الاسكندرية كانوا يذهبون سنويا الى الجامع الأزهر للدراسة ، فيتحدث المرادى فى كتابه عن « اعيان القرن الثامن عشر » أن الشيخ على الأسمر . العالم الفقيه ، كان « كل سنة يأتى من اسكندرية بعد عيد الفطر الى الجامع الأزهر يدرس به ثم يرجع الى بلده فى أول الثلاثة أشهر » .

وفى الوقت نفسه لم تكن الاسكندرية خالية من القلاقل والاضطرابات التى كان يمتلىء بها ذلك العهد . فيذكر الجبرتى عن أحداث عام ١٧٨٤ أنه حدث بالاسكندرية شغب وفتنة بين أهل البلد وأغات القلعة والسردار ، بسبب قتيل من أهل البلد قتله بعض أتباع السردار . فثار العامة ، وقبضوا على السردار، وأهانوه وجرسوه على حمار . وحلقوا نصف لحيته ، وطافوا به البلد وهو مكشوف الرأس وهم يضربونه ويصفعونه بالنعالات » .

ويدل تاريخ الفتن والثورات فى مصر اليونانية على أن سوق الحكام المكروهين على حمير فى شوارع

الاسكندرية واهانتهم على هذا النحو كان من الطقوس التقليدية المصاحبة لفتن الاسكندرية وثوراتها ·

وقد دهش الفرنسيون لمنظر سكان الاسكندرية الذى خالف ما كان منطبعا فى أذهانهم · كتب بونابرت الى حكومة الادارة يقول : « هذه الأمة تختلف كل الاختلاف عن الفكرة التى أخذناها عنها من رحالتنا · انها أمة هادئة باسلة ، معتزة بنفسها » · وكتب أخوه لوى فى خطاب لجوزيف بونابرت يؤمن على هذا الرأى ويقول :

« ان فى الشعب رباطة جأش مدهشة ، فلا شيء يهزهم ، وليس الموت عندهم أكثر من رحلة عبر المحيط عند الرحل الانجليزى ، أما طلعتهم فمهيبة ، واذا قارنا طلعتنا ، حتى أقواها وأبرزها ملامح ، بطلعتهم فانها سوف تبدو كطلعة أطفال » ·

أما بالنسبة لأزياء الأهالى ، فقد كتب أحد الجنود الفرنسيين يقول انه « قد يبدو زى الأهالى لأول وهلة عديم الشكل ، ولكنى بعد أن تأملته جيدا أدركت أنه أكثر مهابة من زينا · فهم يحلقون رؤوسهم ، ويلبسون طاقية حمراء صغيرة يسمونها بالعربية « طربوشا » ، ويطوون حولها عمامة خمس أو ست طيات · ويرتدون عدة قفاطين فضفاضة من الحرير أو القماش ، بعضها فوق بعض ، وكلهاطويل يصل الى الكعب كأثواب

الكهان • أما سيقانهم ، وأرجلهم فى الغالب ، فعارية ، وهم يطلقون لحاهم فتطول وتضفى على شيوخهم مهابة وجلالا» • وكان هؤلاء الرجال ينفقون سحابة نهارهم جالسين على عتبات دورهم ، أو فى المقاهى ، ويحتسون القهوة ، ويترفعون عن العمل » •

على أن منظر النساء لم يعجب الفرنسيين، خصوصا نساء الطبقة الدنيا ، اللاتى كن يرتدين جلبابا واحدا، أزرق فى العادة ، ويسرن حافيات الأقدام عاريات السيقان ، ويلطخن حواجبهن بالكحل ، وأظافرهن بالحناء ، ويكشفن فى مرح عن اى عضو من أعضائهن الا وجوههن أما الأطفال فعراة •



بدأ غزو بونابرت للاسكندرية فى ليلة ٢ يولية سنة ١٧٩٨ ، وكانت الجهة التى نزل اليها الجنود هى جهة العجمى التى تبعد عن الاسكندرية غربا نحو اثنى عشر كيلو مترا • وفى نحو الساعة الثانية من صبيحة يوم ٢ يولية كان عدد الذين نزلوا الى البر قد بلغ نحو خمسة آلاف جندى من فرق الجنرالات : كليبر Kleber وبون Bon ومينو Menou • وفى منتصف الساعة الثالثة زحفت هذه القوات على الاسكندرية بحذاء الشاطىء لتصل الى أسوار المدينة عند شروق الشمس ، وتأخذ فى حصارها •

كانت الحملة الفرنسية مكونة من ٥٥ مركبا حربيا، و ٢٨٠ نقالة تحمل ٣٦٫٨٢٦ جنديا ، فيما عدا الخيول والمدافع . كما كانت تضم اليها جماعة كبيرة من صفوة علماء فرنسا . وكانت قد غادرت طولون ظهر يوم ١٩ مايو ، واستولت على مالطة يوم ١٠ يونية ، وغادرتها الى الاسكندرية يوم ١٩ يونية . وعندما علم بونابرت بأن الأسطول الانجليزى يطارده لم يتبع فى طريقه الى الاسكندرية خطا مستقيما ، بل توجه الى كريت ليصلها فى ٢٥ يونية ، وفى ٢٦ يونية اتخذت الحملة طريقها الى الاسكندرية لتصل الى مياهها يوم ٣٠ يونية .

وكان قد سبق وصول الحملة الفرنسية الى الاسكندرية قدوم الأسطول الانجليزى بقيادة الأميرال نلسون Nelson الى الاسكندرية للتفتيش عن الأسطول الفرنسى . وأرسل قاربا به عشرة ضباط الى البر ، حيث قابل السيد محمد كريم ، حاكم الاسكندرية، وبعض كبار البلد ، وأخبروهم بأن الفرنسيين قد يهاجمون مصر . وطلبوا السماح للأسطول الانجليزى بالوقوف فى البحر للتصدى للأسطول الفرنسى عند قدومه . ولكن السيد محمد كريم تشكك فى أقوالهم، ورفض عرضهم ، على أساس أن الفرنسيين ليست بينهم وبين الدولة العثمانية ، صاحبة السيادة على مصر ،

عداوة ، ولم يفعل المصريون ما يستوجب عداءهم ، وبالتالى فيستبعد قدومهم الى مصر ·

ولم يجد الأسطول الانجليزى بدا من مغادرة مياه الاسكندرية يوم ٢٩ يونية ·

على أن هذه الأخبار أحدثت هياجا داخل الاسكندرية · فمنذ احتلال الفرنسيين مالطة سرت الاشاعات بأن « الافرنج » يعتزمون احتلال مصر ، وكلمة « الافرنج » كانت تتناول الفرنسيين والأوربيين على السواء ، مع أن الاشاعات كانت تحدد الفرنسيين بالذات . الا أن محمد كريم عندما رأى الأسطول الانجليزى خشى أن يكون الانجليز هم الذين يريدون مصر ، ورفض بقاءهم فى مياه الاسكندرية ، ففقد فرصة تاريخية نادرة لحماية مصر من الغزو الفرنسى·

على أن زيارة الأسطول الانجليزى لمصر أفادت فقط فى أن الاسكندرية لم تفاجأ بالغزو ، بل أخذت تستعد للمقاومة ، عن طريق تحصين القلاع وزيادة عدد الجنود بالمتطوعين · وفى ذلك يقول الكولونيل سلكوسكى Sulkowsky أحد ضباط الحملة الفرنسية : « وصلت منذ شهرين عن طريق الاستانة أنباء الحملة ، فأخذ الأمراء (المماليك) يستعدون ، ولا نعلم الى أى حد بلغ استعدادهم ، ولكن الخبر الذى أزعجنا هو قدوم الأسطول الانجليزى الى الاسكندرية ، ومغادرته اياها

قبل وصولنا ، وقد انزعجت له البلاد ، وظنه الناس أسطول الفرنسيين الذين يتوقعون حضورهم منذ مدة • ومن يومئذ آخذ جميع الأهالى يعدون العدة للمقاومة ، فحملوا السلاح ، انضم اليهم المغاربة من ضواحى الثغر، وتحصنوا بالاسوار ، بينما كان اربعمائة من الفرسان يجوبون الضواحى استعدادا للقتال ، ولم يمكث الانجليز بمياه الاسكندرية الا يوما واحدا ثم غادروها •

وهـذا ما عـرفه الجنرال بونابرت من القنصل الفرنسى بالاسكندرية قبل انزال قواته، فعندما اقترب الأسطول الفرنسى من الاسكندرية ، أرسل بونابرت السفينة « جينون » Junon لاستدعاء القنصل الفرنسى لاخبار الفرنسيين بقدوم الحملة ، وعادت السفينة بالقنصل ، الذى روى لبونابرت « وقد خالطه الرعب بعد أن نجا من القتل على يد الشعب الهائج ، انه عندما قدم الأسطول الانجليزى للتفتيش عن الأسطول الفرنسى » ، ظنه الأهالى فرنسيا فانفجر بركان الهياج فى البلاد كلها لشعورهم باقترابنا ، وكانوا يتوقعون ذلك من يوم أن علموا باحتلالنا لمالطة ، وقد استعدوا للمقاومة ، فأخذوا يحصنون القلاع ويزيدون عدد المتطوعين ، يجمعون جيشا من العرب ، وأن حاكم الاسكندرية لم يأذن للقنصل بالمقابلة الا مصحوبا بجماعة من بحارة الاسكندرية ، وعهد اليهم ارجاعه الى الشاطىء •

وهذا هو السبب فى قرار بونابرت بسرعة انزال جنوده فى ليلة ٢ يوليــة ١٧٩٨ ، قبل أن يباغت بالأسطول الانجليزى ، وبأن تسارع هذه القوات الى الزحف على الاسكندرية لتفاجىء السكندريين قبل أن يجدوا وقتا للتنظيم الدفاع عن المدينة • وقد وصلت القوات الى سور الاسكندرية عند شروق الشمس كما ذكرنا ، واتخذ بونابرت من قاعدة عمود السوارى معسكره العام يرقب منها حركة الهجوم ويصدر أوامره لقادة جيشه •

أما أهالى الاسكندرية فمنذ أن ظهر الأسطول الفرنسي فى البحر عند غروب الشمس ، دب فيهم الرعب ، وتولاهم الفزع عندما رأوا وجه البحر تغطيه المراكب • فبادر حاكم المدينة محمد كريم الى اخبار مراد بك فى القاهرة بقدوم الحملة ، وطلب اليه ارسال نجداته ، وفى الوقت نفسه شرع فى اعداد المدينة للدفاع عن نفسها ، عن طريق تحصين أسوارها ثم نقل الميرة والذخيرة الى القلاع ، ووضع المدافع العتيقة على الأسوار استعدادا للمقاومة ، وعهد الى جماعة من الفرسان بمناوشة القوات الفرنسية عند اقترابها ، فحدثت مناوشات بينهم وبين الفرنسيين ارتد على آثرها العرب جنوبا ، وتابع الفرنسيون زحفهم على المدينة • واحتشد الأهالى يحملون السلاح على الأسوار وفى الأبراج التي تتخللها للدفاع •

وقد قسم بونابرت قواته الى ثلاث فرق الأولى الى الغرب تجاه الحصن المثلث ، وهى فرقة الجنرال مينو ، والثانية فى الجنوب أمام باب سدرة ، وهى فرقة الجنرال كليبر ، والثالثة فى الشرق أمام باب رشيد وهى فرقة الجنرال بون • ومع أن الأسوار كانت ضعيفة فى كثير من أجزائها ، وبها ثغرات كبيرة رممت حديثا بعجلة ، الا أنه كان من العسير احداث ثغرة كافية فيها بدون استخدام المدافع ، وبينما كان الفرنسيون يحاولون تسلقها قذفهم المدافعون بوابل من الأحجار والرصاص، وقاومت الأبراج مقاومة عنيفة ، وأصيب الجنرال كليبر الذى كان يصدر تعليماته لرجاله من أسفل السور بجرح شديد من رصاصة فوق الحاجب ، كما أصيب الجنرال مينو بسبعة جروح من الأحجار المتساقطة ، ويندر أن يصاب قائدان هذه الاصابات فى الدقائق الخمس الأولى فى أية حملة حربية • على أن هذه المرحلة انتهت سريعا ، فقد اقتحم الجنود الأسوار ، وتقهقرت المقاومة الى داخل المدينة تتبعها القوات المهاجمة التى وصلت الى المناطق السكنية ، حيث نشب القتال فى شوارع المدينة وانهال الرصاص من نوافذ وأسطح البيوت على المهاجمين ، فيؤخذ من تقرير بونابرت الى حكومة الادارة أن « كل بيت كان قلعة » ، وعندما ظن جنود الحملة أن المدينة استسلمت اذا بالرصاص ينهال على فريق منهم وهم يمرون أمام أحد

المساجد ، وأمر قائد المجموعة باقتحام المسجد والقضاء على من فيه ، فهلك الرجل والنساء والأطفال بحد السونكى ، ولم يبق الا ثلث المدافعين • وكاد بونابرت نفسه يفقد حياته حين كان يمر فى زقاق لا يتسع لمرور أكثر من رجلين ، فاطلق احد القناصة النار عليه من نافذة أحد البيوت ، ورد الجند باطلاق النار ، وتسلق غيرهم الى داخل البيت عن طريق الأسطح ، فوجدوا القناصة رجلا وامراة ، فقتلوهما فى الحال • وفى ذلك الحين كان السيد محمد كريم يدافع داخل قلعة قايتباى التى كان يتولى القيادة فيها ، وقد استمر فى المقاومة الى ساعة متاخرة من الليل الى أن كلت قواه ورأى ان المقاومة لا تجدى ، فكف عن القتال •

فى ذلك الحين وازاء ما كان واضحا من تفوق الفرنسيين عرض قائد السفينة العثمانية التى كانت راسية بالثغر ، وهو ادريس بك ، خدماته للتوسط فى تسليم المدينة ، وكان بونابرت قبل هجومه على الاسكندرية قد أرسل الى الوالى العثمانى أبو بكر باشا والى ادريس بك رسالتين يعرب فيهما عن مقاصده الودية نحو السلطان ويعلن أنه انما قدم لمحاربة المماليك • وقد توسط ادريس بك بالفعل فى تسليم المدينة ، وكلفه بونابرت بأن يخبر الشيوخ والعلماء والأعيان أن المزيد من المقاومة سيضطره الى القضاء عليهم • وما لبث أن حضر قبيل الظهر وفد الى مقر القيادة عند عمود

السوارى لتسليم المدينة ، وأعلن محمد كريم استسلامه للفاتح • ورأى بونابرت أنه من حسن السياسة أن يكون كريما ، فتلقى محمد كريم لقاء كريما ، وغفر له مقاومته للهجوم ، وثبته حاكما على الاسكندرية ، ووكل اليه حفظ النظام وتموين الفرنسيين •

وقد أجمعت تقارير قادة الحملة على شجاعة الأهالى فى الدفاع عن الاسكندرية • فقد كتب الجنرال برتييه Berthier رئيس أركان الحملة الفرنسية ، فى رسالته الى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ ٦ يولية ١٧٩٨ يقول ان الأهالى « دافعوا عن أسوار المدينة دفاع المستميت ، وقد أصيب فى هذه الموقعة الجنرال كليبر بعيار نارى فى جبهته ، فجرحا جرحا بليغا ، وأصيب الجنرال مينو بضربة حجر أسقطته من أعلى السور ، فنالته رضوض شديدة ، وأصيب الأدجودان جنرال اسكال Escale بجرح بليغ فى ذراعه من عيار نارى ، وقتل الجنرال ماس Mass وخمسة ضباط آخرون » • وكتب مينو الى بونابرت يقول : « ان الجنود يستحقون الثناء العظيم على ما بذلوه من الاقدام والهمة والذكاء وسط المخاطر العظيمة التى كانت تحيط بهم ، لأن الأعداء (الأهالى) قد دافعوا عن المدينة بشجاعة كبيرة وثبات عظيم » • وقد قدر بونابرت خسائر الجيش الفرنسى فى مهاجمة الاسكندرية فى رسالته الى حكومة الديركتوار بثلاثين قتيلا ، وثمانين الى مائة جريح •

وقدرها بعد ذلك فى مذكراته بثلاثمائة ما بين قتيل وجريح ، وأمر بدفن قتلى الفرنسيين حول عمود السوارى ، باحتفال عسكرى كبير ، ونقشت أسماؤهم على قاعدة العمود ٠

كانت الاسكندرية أول مدينة مصرية احتلها بونابرت ، وهى فى نفس الوقت أول مدينة عربية اسلامية من بلاد الدولة العثمانية تتعرض لغزو عسكرى أوربى مسيحى فى التاريخ الحديث . كما أنها تنتمى لحضارة شرقية قديمة تختلف اختلافا من حضارة الشعوب الأوروبية التى عرفها بونابرت . ولذلك عنى بونابرت برسم سياسة تضمن له اجتذاب قلوب أهلها وأهل مصر ، وذلك من قبل أن تطأ قدمه أرض الاسكندرية ، فأعد منشورا لأهل البلاد يوم ٢٧ يونية ١٧٩٨ على ظهر بارجة القيادة L'orient وصاغه فى قالبه العربى جماعة المستشرقين والتراجمة الذين أحضرهم معه ، وطبع على ظهر البارجة بالمطبعة العربية التى جاء بها ، فكان أول وثيقة عربية طبعت على هذه المطبعة ، وأمر قبل مغادرته الاسكندرية أن تنقل المطبعة العربية والمطبعتان اليونانية والفرنسية من البارجة الى منزل قنصل البندقية بالاسكندرية ، وأن تهيأ هذه المطابع بحيث تكون معدة للعمل فى ثمان وأربعين ساعة ، وأن يطبع على المطبعة العربية أربعة آلاف نسخة من المنشور ٠

ويحمل هذا المنشور تاريخ ٢ يولية ١٧٩٨ ، وهو يوم احتلاله للاسكندرية ، وكان المنشور معدا ومطبوعا على المطبعة العربية قبل رسو الأسطول الفرنسى ٠

وقد أعلن بونابرت فى هذا المنشور أنه لم يأت لمحاربة السلطان العثمانى ، وانما أتى لمحاربة السناجق ــ أى المماليك حكام المديريات ، عقابا لهم على معاملتهم الفرنسيين بالاذلال والاحتقار واعتدائهم على تجارهم٠ وذكر المصريين بالمظالم التى يرتكبها هؤلاء المماليك الغرباء المجلوبين من « الآبازة » ــ أى من جورجيا والقوقاز ، وكذب ما يشيعونه من أنه نزل بمصر بقصد ازالة الدين الاسلامى ، قائلا ان ذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين اننى ما قدمت اليكم الا لأخلص حقكم من يد الظالمين ، واننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم نبيه العظيم والقرآن العظيم » ٠ ثم أخذ بونابرت يبشر بمبادىء الثورة الفرنسية فى المساواة قائلا : « ان جميع الناس متساوون عند الله ، وان الشىء الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط » ، وسخر من المماليك قائلا ان بينهم وبين العقل والفضائل تضارب ، ولا يوجد ما يستوجب أن يتملكوا به مصر وحدهم ، « ويختصوا بكل شىء أحسن فيها ، من الجوارى الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة » ٠ ومن هنا وعد أن ينتقل ذلك كله الى المصريين » : من الآن

فصاعدا لا ييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية ، فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها » • ثم ذكر المصريين بمجدهم القديم قائلا : « سابقا كان فى الأراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان (الترع) الواسعة والمتجر المتكاثر ، وما أزال ذلك كله الا الظلم والطمع من المماليك » •

وطالب المنشور المشايخ والقضاة والأئمة والأعيان البلد بأن يقولوا لأمتهم « ان الفرنسيين هم أيضا مسلمون مخلصون » ، وان دليل ذلك أنهم خربوا كرسى البابا فى روما ، وهو الذى كان يحث النصارى على محاربة الاسلام ، كما أنهم أزالوا من مالطة حكم « الفرسان » (فرسان القديس يوحنا الذين كانوا يحكمونها من أيام الامبراطور شارل الخامس) والذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين •

كانت أهمية منشور بونابرت الذى أذيع فى الاسكندرية يوم ٢ يولية ١٧٨٩ أنه كان أول منشور لفاتح أجنبى يتحدث عن حكم المصريين أنفسهم بأنفسهم، كما أنه أول منشور يستثير الروح القومية المصرية بما أشاد من مكانة مصر وعظمتها السابقة •

وفيما يبد أنه أحدث تأثيرا كبيرا ، اذ بعد اصدار المنشور كتب الجنرال ديزيه Desaix يطلب مزيدا من النسخ قائلا : « ان المنشور يحدث تأثيرا كبيرا » . على أن بونابرت نفسه اعتبرالمنشور ـ وهو يعقب عليه في منفاه بسانت هيلانة : « قطعة من الدجل ، ولكنـه دجل على أعلى مستوى » !

وقد صحب توزيع المنشور محاولة بونابرت اجتذاب الأهالى ، فقد بادر عقب احتلاله الاسـكندرية الى دعوة مشايخ المدينة وأعيانها لمقابلته، وفى هـذه المقـابلة أعرب لهم عن تمنيه للشعبالمصرى بالسعادة والرفاهية، وطارحهم الرأى فى اصلاح البلاد ، وطمأنهم على حياتهم وأموالهم طالما لا يحاربون الجيش الفـرنسى ، ورد الى السيد محمـد كريم سـلاحه ، وقال له فى مجلس من أعيان المدينة : « لقد أخذتك وسلاحك فى يدك ، وكان لى أن أعاملك معـاملة الأسـير ، ولكنك استبسلت فى الدفاع عن المدينة ، والشجاعة متـلازمة مع الشرف ، ولذلك فانى أعيـد اليك سـلاحك ، وآمل أن تبـدى للجمهـورية الفرنسية من الاخـلاص ما كنت تبـديه للحكومة السيئة السابقة » !

وبعد احتـلال الاسـكندرية بيـوم واحد أصدر الجنرال برتييه ، رئيس أركان الحرب ، أمرا يتضمن تعليمات القائد العام فى هـذا الصـدد ، وأهمها أن

القائد العام » يريد أن يستمر الأهالى يؤدون شعائرهم الدينية فى المساجد كما كانوا من قبل ، ويحظر على الفرنسيين جميعا من عسكريين ومدنيين دخول المساجد أو الاجتماع على أبوابها » وأمر ضباط الفرق بأن يتلوا هذا الأمر على جنودهم ، وأن يعيدوا تلاوة أمر القائد العام الخاص بمعاقبة النهب والتعدى على النساء ، وأن يعدموا رميا بالرصاص كل من يخالف هذه الأوامر — وأن يدفع كل جندى ثمن ما يبتاعه فى المدينة ، وأن يحافظوا على أموال الأهالى وكرامتهم . وعلينا أن نكتسب صداقتهم والا نعادى سوى المماليك .

وقد كان نتيجة لمقابلة بونابرت مع زعماء الأهالى أن كتبت يوم ٤ يوليه وثيقة بالعهود التى أخذها الفريقان كل منهما على الآخر ، ويمضى على النحو الآتى:

« هذا ما تم الاتفاق عليه بين أعيان الاسكندرية الموقعين بأسمائهم وبين رئيس الأمة الفرنسية والقائد العام للجيش المعسكر بالمدينة :

« يستمر الأعيان على العمل بقوانينهم ، والقيام بشعائرهم الدينية ، وفض المنازعات بينهم مع مراعاة العدل والابتعاد عن مسالك الهوى . ولهم أن يختاروا القاضى الذى يتولى القضاء فى محكمة الشرع من خيار العلماء المشهود لهم بالاستقامة والتقوى ، وعليه أن

لا يقضى فى أمر الا بعد الرجوع الى رأى مجلس العلماء .

« ويجتهد الموقعون على هذا فى اقامة العدل ، ويبذلون ما فى وسعهم لتحقيق هذا الغرض ، وسيعملون جهودهم لما فيه صالح البلاد وتوفير أسباب السعادة للأهالى ، ومحاربة الأشرار والمفسدين . ويتعهدون كذلك ألا يخونوا الجيش الفرنسى ، وألا يعملوا عملا يضر مصالحه ، وألا يشتركوا فى مؤامرة تدبر ضده » .

« وتعهد لهم القائد العام من جهته بأن يمنع كل جندى من جنوده من التعدى على أهالى الاسكندرية ، ويعلن أن من يرتكب من الجنود عدوانا أو ظلما ينكل به ويعاقب بأشد أنواع العقوبة . ويتعهد القائد العام علنا بألا يجبر أيا من الأهالى على تغيير دينه وتغيير شعائره الدينية ، فان مقصده هو اقرار الأهالى فى دينهم واطمئنانهم على أنفسهم وأموالهم ، وسيبذل فى هذا السبيل كل ما لديه من قوة ، ماداموا لا يقصدون به ولا بجيشه سوءا » .

وقد وقع على الميثاق كل من الأسماء الآتية : ابراهيم البرجى مفتى الحنفية ، وسليمان الكلاف مفتى المالكية ، ومحمد المسيرى ، وأحمد عبد الله الشافعى ، وحسن كانيد ، وعباس القويضى ، ومصطفى محمد » .

وقد كان على بونابرت بعد ذلك أن يسارع بالزحف على القاهرة قبل أن يحين موعد الفيضان الذى يجعل المنطقة مستحيلة العبور اذا انتصف شهر أغسطس ، فاصدر فى ٣ يوليو أمره الى فرقة الجنرال ديزيه ببدء الزحف على دمنهور ، ثم تبعتهم فرقة رينييه Reynier فى ٥ يوليو ، وتقرر أن تتلو الفرقتين الفرق الثلاث الباقية فى اليومين التاليين : اثنتان بطريق دمنهور ، والثالثة بطريق رشيد ، وأن يلتقى الجيش كله فى الرحمانية على الفرع الأيسر لدلتا النيل ، وقبل أن يغادر بونابرت الاسكندرية يوم ٧ يولية عين الجنرال كليبر قائدا وحاكما لدائرة الاسكندرية وضواحيها ، والجنرال مانسكور Manscourt قائدا للموقع ، والكابتن لو بلاى Le Pelley قائدا للميناء ، وعهد الى الكولونيل كريتان Cretin بتحصين ثغر الاسكندرية وترميم قلاعه القديمة ، وانشاء قلاع جديدة ، لجعلها بمأمن من البوارج الانجليزية • وأوصى الجنرال كليبر بأن يبذل كل ما فى وسعه « لاستبقاء العلاقات الحسنة مع الأهالى ، وابداء كل أنواع الاحترام للمفتين ولرؤساء المشايخ فى المدينة • كما أمر بابقاء محمد كريم حاكما للاسكندرية ، وكتب اليه خطابا يوم مغادرته الاسكندرية يبدى فيه رضاءه التام لمسلكه منذ قدوم الجيش الفرنسى، وأنه يعرب عن هذا الرضاء عنه بتعيينه فى وظيفة محافظ دائرة الاسكندرية • وأبلغه بأنه سوف يتلقى

تعليماته من خلال الجنرال كليبر القائد العام للجهة ، ولكن له أن يراسله مباشرة متى شاء ٠

على أن الأحوال في الاسكندرية لم تلبث أن سارت في اتجاه معاكس لما كان يتوقع بونابرت ٠ ذلك أن حالة الحرب جعلت الاسكندرية في شبه حصار بحرى شل حركة السفن وعطل التجارة ، التي هي أكبر مورد لثروة الأهالي ٠ ولذلك أخذ الكساد يضرب في المدينة على نحو أثار التذمر والسخط على الاحتلال الفرنسي ، وزاد الأمر سوءا أن بونابرت فرض على المدينة بعد احتلالها غرامة حربية قدرها ١٥٠ ألف فرنك ، وهي غرامة باهظة اذا قيست بما كانت عليه المدينة قبل الغزو من التأخر الاقتصادي ، كما فرض قرضا بضمان اضافي من حصيلة الجمارك المنتظر جمعها من الميناء ، ثم حصل على نقود من التجار المحليين نظير سبائك من الذهب والفضة ، وجرد أهل الاسكندرية من السلاح ، وصدرت الأوامر لهم بأن يضعوا الشارة المثلثة الألوان دليلا على ولائهم للجمهورية ، وهو ما كان يجعل منظرها غريبا فوق عماماتهم ، واختص كبار المشايخ وبضعة من صفوة الأعيان بلبس الوشاح الأزرق والأحمر والأبيض شأن العمد الفرنسيين ، وأيضا بتلقي التحية العسكرية ، ولكن هذا التمييز لم يمس قلوبهم مسا عميقا كما ينبغي ، لأن سيكولوجية شيوخ المسلمين تختلف عن سيكولوجية الساسة الفرنسيين ٠

وفى نفس الوقت لم يستطع الجنود الفرنسيين كبح جماح أنفسهم ، فكانوا يخرجون على النظام ويرتكبون السرقات ، الأمر الذى أثار حفيظ الأهالى عليهم ، وقد ذكر كليبر فى رسالة له الى بونابرت أن بحارة الأسطول قد خربوا ضواحى أبى قير ، فكانوا يسرقون ثمار الأشجار ، ويقطعون النخيل من جذوعه • وفى يوم ١٣ يولية وجد أحد جنود مدفعية الاسطول قتيلا ، وفى الوقت نفسه ألقى فى البحر خادم أحد الضباط فمات غرقا • وترامى الخبر فى المدينة وتحفز الناس للهياج ، وواجه كليبر الموقف بالشدة ، فاعتقل بعض أعيان المدينة بصفة رهائن • واستدعى حاكم المدينة محمد كريم والقاضى الشرعى وكبار الأعيان ، وطلب منهم البحث عن الجناة ومعاقبتهم طبقا لقوانين البلاد ، أو يشنق من تقع عليه القرعة من الرهائن فى حالة عدم معاقبة الجانى • وقد تبين أن الجانى ، واسمه السيد أحمد ، قد هرب ، فحوكم غيابيا بالمحكمة الشرعية ، وحكم عليه قاضى الاسكندرية بالقصاص بمحضر جمع من العلماء وأعيان المدينة ، وكتب بذلك اعلام شرعى • وفيما يبدو أن الجنرال كليبر تحقق من أن الجندى القتيل قد ارتكب مايستحق عليه القتل ، لأنه وجه منشورا عقب الحادثة الى الجنود حذرهم فيه من أنهم سوف يستهدفون لأمثال هذه الحوادث اذا لم يلتزموا باحترام أملاك الأهالى وعاداتهم

وديانتهم ، وقرر أن كل من يتسلق بيتا من بيوت المسلمين أو غير المسلمين لأى سبب من الأسباب ، يعد سارقا ويحكم عليه بالاعدام ، وكل من يستخدم الأسلحة النارية فى صيد الحمام داخل المدينة ويعرض حياة الناس للخطر كما حدث من قبل يعد قاتلا ويحكم عليه بالاعدام ، وكل من ينتهك شعائر المسلمين الدينية فى المساجد أثناء صلواتهم أو وضوئهم يعد محرضا على الاخلال بالنظام ويحكم عليه بالاعدام ٠

على أن روح الكراهية للفرنسيين لم تلبث أن أخذت تسفر عن نفسها ، وتبين ذلك حين أمر كليبر بتسيير كتيبة من الجنود تجوب بعض جهات مديرية البحيرة ، واختار الجنرال ديموى Dumuy فقد هرب الأهالى الجمال حتى لا تستعين بها الكتيبة ، ثم ظهرت الجمال فى اليوم التالى لخروج الكتيبة يوم ١٧ يولية ، وعلى طوال جولة الكتيبة كانت تتعرض للهجوم من الأعراب بشكل يتزايد فى طريقها الى دمنهور ، ولما دخلت المدينة لقيت بها تمردا شديدا ،، فاعتزمت الكتيبة العودة الى الاسكندرية وعدم اكمال سيرها الى رشيد ، ووصلت الى الاسكندرية يوم ٢٠ يولية بعد أن خسرت ثلاثين ما بين قتيل وشريد ٠

وقد لاحظت القيادة الفرنسية أن البلاد التى مرت بها الكتيبة الفرنسية كانت تعلم بقدومها من قبل

وصولها ، كما لاحظوا أن أهالى دمنهور كانوا مستعدين لاستقبالهم بالمقاومة ، الأمر الذى دل على أن مخابرات سرية قد جرت بين الاسكندرية وبين تلك البلاد قبل قيام الكتيبة ، واتجهت شبهاتها الى حاكم المدينة الوطنى محمد كريم ، خصوصا بعد أن اتخذ موقف الدفاع عن الأهالى فى أمر السلفة الاجبارية التى فرضت على تجار الثغر ، لدفعها الى الجيش الفرنسى ، فقد عارض فى فرضها ، وتلكأ فى الموافقة عليها ومساعدة السلطة الفرنسية فى تحصيلها ، لذلك أمر كليبر باعتقال محمد كريم ونقله الى ظهر البارجة « لورين » يوم ٢٠ يولية حتى يبت بونابرت فى مصيره ٠

وفى نفس يوم الاعتقال جمع كليبر أعيان المدينة ، وطلب اليهم أن يختاروا حاكما للمدينة بدلا من محمد كريم الذى اعتقل للريبة فى اخلاصه للجمهورية الفرنسية ٠ وقد وقع اختيارهم على السيد محمد الشوربجى الغريانى ، ولكن الأخير أبلغ كليبر أن أهالى الاسكندرية يختلفون عن سائر أهالى القطر بأنهم أصعب مراسا وأقرب الى القلق والهياج ، وأبدى له صعوبات ادارة المدينة ، فأقنعه كليبر بالقبول ، وكان الشيخ محمد المسيرى كبير علماء المدينة يعاونه فى عمله ٠ وكان أول عمل طلبه كليبر منهما أن يساعدا فى تحصيل السلفة الاجبارية التى فرضها على تجار

المدينة . فطلبا منه انقاص هذه السلفة ، فأنزل منهـا خمسة عشر ألف فرنك يحصلها من ايراد الجمرك ·

وقد أقر بونابرت عمل الجنرال كليبر ، وأرسـل اليه بتاريخ ٣٠ يولية خطابا من القـاهرة يبلغه فيـه أنه لا يوافق فقط على اعتقال محمد كريم ، بل انه أمر فوق ذلك باعتقال أشخاص آخرين · وفى نفس اليوم أصدر منشورا عسكريا أعلن فيه استياءه من سـلوك أهل الاسكندرية ، وأمر بأن يطلب من جميع الأهـالى على اختلاف أجناسهم تسـليم أسـلحتهم الى قومندان الموقع ، ومن يتأخر منهم عن تنفيذ هذا الأمر بعد ثمان وأربعين ساعة من نشره يجازى بالاعدام ، وأمر بهدم منزل المتهم بقتل الجندى الفرنسى ، واعتقال خمسـين شخصا يكونون رهائن ، وحبسهم على ظهر الأسطول الى أن يستوثق من سلوك أهل الاسـكندرية · وفى نفس اليوم أصدر أمرا آخـر بفرض ضريبـة ثلثمائة ألف فرنك على تجار الاسكندرية ، يحسب منها الثلاثون ألف فرنك التى فرضها الجنرال كليبر ، والباقى يجمع فى ٢٤ ساعة من نشر هذا الأمر ·

على أنه فى نفس اليوم كان « برويس » Brueys قائد الأسطول ، يطلق سراح محمد كريم ، ويبعث به الى رشـيد ، ليبعث به الجنرال مينـو من هنـــاك الى

القاهرة . على أنه لم يكد كريم يصل الى رشيد حتى سارع أهل المدينة الى ملاقاته بالحفاوة والتكريم ، بعد أن عظمت منزلته بسبب اعتقاله . وهنا أعاد مينو القبض عليه ، وكتب الى كليبر يقول : « لقد ألقيت القبض هنا على السيد محمد كريم الذى أطلق سراحه من البارجة « لوريان » ، وسأبعث به غدا الى القاهرة مخفورا بقوة كافية » .

وقد أرسل محمد كريم بالفعل الى القاهرة على سفينة من سفن الجيش أقلعت به من رشيد يوم ٤ أغسطس ، ووصلت يوم ١٢ أغسطس مساء ، وتولى الجنرال ديبوى Dupuy . حاكم القاهرة التحقيق، فاستجوبه فى التهمة الموجهة اليه ، وهى مراسلته لمراد بك وغيره من المماليك وعرب البحيرة ، وانتهى التحقيق الى اثبات التهمة عليه ، وأصدر بونابرت أمره فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٧٩٨ باعدامه رميا بالرصاص ، ومصادرة أملاكه وأمواله ، وسمح له بأن يفتدى نفسه بدفع غرامة ثلاثين ألف ريال فى أربع وعشرين ساعة . فلم يقبل محمد كريم دفع هذا المبلغ، وأظهر جلدا وشجاعة عند الاعدام . وقد نصحه المستشرق فانتور Venture كبير تراجمة الحملة الفرنسية بأن يدفع الغرامة ، وقال له : « انك رجل غنى ، فماذا يضيرك أن تفتدى نفسك بهذا المبلغ » ، فأجابه محمد كريم : « اذا كان مقدورا أن أموت ،

فلا يعصمنى من الموت أن أدفع المبلغ ، واذا كان مقدرا لى الحياة ، فعلام أدفعه ؟ » • وظل على اصراره الى ان نفذ فيه الحكم رميا بالرصاص فى ميدان الرميلة يـوم ٦ سبتمبر سنة ١٧٩٨ بعد عرض مثير ، فقـد أركبـه الفرنسيون حمارا ، وأحاطت به مجموعة من الجنـود شاهرى السيوف، ويتقدم حامل الطبلة الموكب يدق عليه وشقوا به حى الصليبة ، الى أن ذهبوا به الى الرميلة ، وكتفوه وربطوه مشبوحا ، وأطلقوا عليـه النار ، ثم قطعوا رأسه ورفعوها على عصا طويلة ، وطافوا بها فى جهات الرميلة والمنادى يقول : « هذا جزاء من يخالف الفرنسيس » •

ومن الواضح أن محمد كريم كان العنصر الوطنى المحرك للمقاومة داخل الاسكندرية ، فبعد اعتقاله أخلد الأهالى الى السكينة وكفوا عن المظاهر العدائيـة التى كانت تبدو منهم • فقد كتب كليبر الى بونابرت يوم ٣١ يولية يقول : « تسود الاسكندرية السـكينة بعـد اعتقال محمد كريم ، ولم تعد تنتشر اشاعات السـوء المقلقة للخواطر والمثيرة لروح الهيـاج ، وأقبـل كل انسان على عمله » • وقد تعزز مركز الفرنسيين فى الاسكندرية بعد ورود أخبار انتصار بونابرت فى معركة الأهرام يوم ٢١ يوليـة ١٧٩٨ ، ودخـوله القـاهرة ظافرا •

وسرعان ما جاءت معركة « أبى قير البحرية » لتغير

مصير الحملة الفرنسية • وكان الأسطول الفرنسى قد انتقل بعد انزال الجيش على شاطىء العجمى يـوم ٢ يولية الى أبى قير يوم السبت ٧ يولية ، بعـد ان تبين للأميرال برويس أن الميناء القديم للاسكندرية لا يسع دخول البوارج الكبيرة ، وأن نصف الأسطول سوف يظل خارج الميناء ، وفى الوقت نفسه فانه سوف يكون مقيد الحركة ، حيث يمـكن للأعداء الانجليز سـد الميـناء بوضع مركب واحد على منافذه • وقد استقر رأيه على خليج أبى قير ، التى كانت تمتاز بتوسـط موقعها بين الاسكندرية ورشيد ، وسهولة رسو الأسطول بها وانزال المهمات والمدفعية الى البر ، والاتصال بالجيش الزاحف على القاهرة عن طريق فرع رشـيد • وكانت خطتـه وضع قطع الأسطول على استعداد للقتال فى خط يبدأ بالقرب من جزيرة أبى قير ، المواجهة لقلعة أبى قير وبلدة أبى قير نفسها ، وينحنى على شكل قوس توزع القطع الحربية على طوله • وكان هذا الترتيب قويا لولا أنه كان يتخذ مواقعه بعيدا عن الشاطىء بأكثر من ميـل ونصف ، أى بما يزيد بنصف ميل عن المسافة الـواجب اتخاذها ، كما أن المسافة بين كل قطعة بحرية وأخرى كانت مسافة كبيرة بقصـد مساعدتهـا عـلى الحـركة والدوران ، ولكنها كانت كافية أيضا لدخول سـفينة أخرى من سـفن الأعـداء • ولم يكن الأميرال بروس يتوقع مهاجمة الأسطول الانجليزى له فى خليج أبى قير

فور عثوره عليه ، وهو ناشر قلوعه ، لأن الأصول التى كان معمولا بها كانت تقتضى من نلسون أن يستطلع أولا موقع الفرنسيين ، ثم يصف سفنه فى خط قتال ، مما يعطى لبرويس الفرصة للاستعداد . وقد كانت كل هذه الأسباب هى التى أدت الى الكارثة التى أحاطت بالأسطول الفرنسى ، والتى انتهت بتحطيم سفنه كلها تقريبا ، وأسر الباقى ، ومقتل أميراله ، وخيرة رجاله، ونحو أربعة آلاف من بحارته ، وبالتالى قضت على آمال فرنسا فى بسط سيادتها على البحر المتوسط ، وكانت أشد ضربة أصابت الحملة الفرنسية فى مصر .

وقد تأثرت الاسكندرية بمعركة أبى قير تأثرا كبيرا . ذلك أن الأسطول الانجليزى لم يلبث بعد انتصاره أن أخذ يشدد الحصار على شواطىء الاسكندرية وغيرها من الشواطىء المصرية ، فقطع كل المواصلات التجارية التى كانت مصدر ثروة الاسكندرية ، ونضب معين الجمارك ، فضاقت الحال ، واشتد الكرب بأهل الاسكندرية ، وزاد سخطهم على الفرنسيين .

ولكى يستميل الأهالى ، أنشأ كليبر فى الاسكندرية « ديوانا » على مثال « ديوان القاهرة » تكون له السلطة المدنية للحكومة . وكان بونابرت قد أرسل اليه فى ٢٨و٣٠ يولية ١٧٩٨ يأمره بتأسيس ديوان الاسكندرية على نسق النظام الذى رسمه لدواوين الأقاليم .

وبالفعل قام كليبر بانشاء هذا الديوان فى ٣١ أغسطس ، وعين لرئاسته الشيخ محمد المسيرى ، واصدر منشورا بذلك الى أهالى الاسكندرية فى نفس اليوم .

وكان الشيخ محمد المسيرى هو كبير علماء الاسكندرية ، وقد عرف عنه الاستقامة والعدل . وحين أوصى كليبر أعضاء الديوان بالنزاهة فى عملهم والبعد عن الطمع فى أموال الناس ، رد الشيخ المسيرى قائلا انه اذا لاحظ فى أى عضو عدم الأمانة فانه يعتزل فورا رئاسة الديوان . وقد طلب اليه كليبر أن يكتفى فقط بابلاغه ولا يحرم قومه ولا يحرم الافرنج من خدمته وعمله . وكان بونابرت يقدره تقديرا كبيرا ، وقد كتب الى الجنرال مارمون Marmont فى ٢٨ أغسطس عام ١٧٩٨ يطلب اليه مقابلة الشيخ المسيرى لابلاغه كيف أنه احتفل بالمولد النبوى فى القاهرة ، وبأنه يجتمع مع كبار المشايخ ورؤساء الأشراف بالقاهرة بين الحين والآخر ، وأنه لا يوجد أكثر منه اعتقادا بطهارة وقدسية الدين الاسلامى . وقد كتب الى الشيخ المسيرى من القاهرة رسالة يقول فيها : « لقد سرنى ما علمته من الجنرال كليبر عن مسلككم ، وانك تعلم مقدار احترامى لك منذ عرفتك ، وأتعشم أن يجىء الوقت الذى أستطيع أن أجمع فيه عقلاء البلاد وعلماءها ، وأن أضع نظاما موحدا مؤسسا على مبادىء القرآن ، تلك المبادىء الصحيحة التى تكفل للناس

سعادتهم » · كذلك أخذ كليبر يقوم بزيارة محـافظ المدينة ورئيس الديوان ويتودد اليهما - ودعاهما مع أعضاء الديوان عنده احكاما لروابط الـود معهـم ، كما عين لـكل من المحـافظ وأعضـاء الديوان وفرقة الشرطة مرتبات شهرية ·

ولم يشأ كليبر ارهاق أهالىالاسكندرية بالضرائب وقد دخل بسبب ذلك فى خلاف مع بونابرت الذى طالبه بفرض ضريبة جديدة لسـد نفقات الجيش وتقـوية معدات الدفاع عن الاسكندرية وترميم البوارج البحرية التى نجت من كارثة أبى قير ، ولـكن كليبر أصر عـلى أن هذه السياسة يمكن أن تؤدى الى مجاعة والى فتنة فى المدينـة ، وتتنـاقض مـع سياسـة التـودد الى أهالى الاسكندرية · وذهب فىاصراره الى عرضه على بونابرت اقالته من وظيفته ، ورشح الجنرال دوجا Dugua ليخلفه ، ولكن بونابرت تمسك به ·

وحين سافر كليبر الى القاهرة لمقابلة بونابرت ، تـولى الجنرال مانسـكور Manscourt قيـادة الاسكندرية ، ولكن بونابرت استدعاه لما ظهر له عجزه ، وعين الجنرال مارمون قائد لها ، وظل فى هذا المركز الى أن رحل مع بونابرتالى فرنسا فىأغسطس١٧٩٩ · ولكن صادفت مارمون صعوبات كبيرة ، أهمها ظهـور الطاعون فى الاسكندرية ، ومحـاولة حصره فى الثغر

حتى لا ينتقل إلى باقى القطر ، مما أدى الى صعوبة المواصلات بين الاسكندرية وبين بلاد القطر الأخرى ، وزاد من ضيق أهالى الاسكندرية ٠

وقد كان وقع كارثة أبي قير فى نفوس الجنود الفرنسيين فى الاسكندرية ساحقا ، بعد أن أحسوا بأن علاقتهم بفرنسا انقطعت ، وأصبحوا شبه منفيين فى القارة الأفريقية ، ولكن بونابرت استقبل الهزيمة برباطة جأش ، واستمر فى مشاريعه ينفذها كان لم يحدث شيء ، وكتب الى كليبر يقول : « ان ما حدث سيضطرنا الى أن نعمل أعمالا أعظم مما كان فى حسباننا » ! وقد أخذ كليبر من جهته يجمع فلول البحارة الذين نجوا من الموت ، وعددهم نحو ثلاثة آلاف ، وأنشأ منهم فرقة جديدة سميت « الفرقة البحرية » ، وكلف الأميرال جانتوم Ganteume بأن يجمع بقايا السفن السليمة وينظمها من جديد ويكون قائدا لها ، وطلب الى مارمون تحصين سواحل الاسكندرية وحمايتها من السفن الانجليزية ٠ وهذا ما قام به مارمون ، وتولى الكولونيل كريتان Grettin بناء قلعتين لصد هجمات البوارج الانجليزية ، القلعة الأولى بكوم الدكة ، والثانية بكوم الناضورة ٠ وقد سميت قلعة كوم الدكة باسم كريتان ، تخليدا لاسم بانيها الكولونيل كريتان ، وقد قتل فى معركة أبى قير

البرية . وسميت القلعة الثانية قلعة كافريللى Caffarelli تذكارا لاسم الجنرال كافريللى الذى قتل فى حصار عكا . كذلك بنى الفرنسيون قلعة بجزيرة العجمى مكان البرج القديم الذى كان بها ، ثم نصبوا المدافع على مدخل الميناء فى نهاية شبه جزيرة رأس التين .

ومنذ ذلك الحين ، وبحكم موقع الاسكندرية من جهة ، وبحكم الصراع بين انجلترا وفرنسا من جهة أخرى ، أصبحت الاسكندرية على مدى تاريخ الحملة الفرنسية فى مصر ميدانا من ميادين الحرب بين فرنسا وأوربا ، يأتى اليها الغزاة للاستيلاء عليها واتخاذها ركيزة للقضاء على القوات الفرنسية فى مصر، خصوصا بعد ابرام المحالفة العثمانية الانجليزية فى ٥ يناير ١٧٩٩ لارجاع مصر الى الباب العالى .

ففى فبراير ١٧٩٩ هجمت احدى السفن الانجليزية على الاسكندرية . وأمطرتها بقنابلها . وفى يوم ٢٥ يولية وقعت معركة أبى قير البرية بعد أن أعدت انجلترا والدولة العثمانية حملة كبيرة لاخراج الفرنسيين من مصر . وقد نزلت القوات العثمانية الى شاطىء أبى قير يوم ١٤ يولية ، وعددها عشرة آلاف مقاتل ، فحاصرت قلعة أبى قير . وهى القلعة القائمة الى اليوم فى نهاية شبه جزيرة أبى قير والمعروفة « بطابية البرج » ، وقد بنيت على الأرجح فى عهد السلاطين البحرية . وكانت

الحامية الفرنسية ممتنعة فيها بقيادة القومندان جودار Godard وكان موقع القلعة منيعا لأنها قائمة على صخرة منيعة ، وتحميها من الداخل استحكامات فى مدخل شبه الجزيرة ، فتحصن جودار فى المدخل ، وتولى الكابتن فيناش Vinache الدفاع عن القلعة .

وقد بدأت حصار أبى قير فى يوم ١٥ يولية ١٧٩٩ ، وتمكن العثمانيون من احتلال الاستحكامات ، وقتل الفرنسيين المدافعين ، ومن بينهم القومندان جودار . ثم احتلوا القرية ، ولم يبق أمامهم سوى القلعة ، ولكن الكابتن فيناش آثر التسليم ، ونقله العثمانيون وجنوده الى ظهر بارجة انجليزية من أسطول السيرسدنى سميث Sir Sidney Smith واحتل العثمانيون القلعة يوم ١٧ يولية ١٧٩٩ .

ولمواجهة هذا الخطر انتقل بونابرت الى الرحمانية فى يوم ١٩ يولية ، ثم اتخذ مقر قيادته فى الاسكندرية، يوم ٢٤ يولية ، وفى مساء هذا اليوم انتقل منها هو وأركان حربه وقوة الفرسان الذين كان يقودهم مورا Murat واتخذ معسكره على مسافة سبعة كيلومترات غرب أبى قير ، وقضى الليل يرتب مواقع جنوده . ثم نشبت المعركة صبيحة يوم ٢٥ يولية ، وهجم الجيش الفرنسى على مواقع الجيش العثمانى ، ورغم أن العثمانيين أصلوه بنار حامية . الا أن الفرنسيين

تفوقوا بتدبير قيادتهم وحسن نظامهم واحكام هجومهم وكثرة عددهم خصوصا الفرسان ، فتمكنوا من سحق خطى الدفاع اللذين أقامهما الجيش العثمانى ، والتجأ مصطفى باشا ، القائد العثمانى ، الى قرية أبى قير ليستند الى القلعة ، ولكن الجنرال مورا هجم بفرسانه وحال بين القرية والقلعة ، فحصر مصطفى باشا وجنوده فى قرية أبى قير ، وانتهت المعركة بوقوع مصطفى باشا وجنوده فى أسر الجيش الفرنسى ، وفقد العثمانيون فى هذه الموقعة ثمانية آلاف ، وبلغ عدد أسراهم نحو ثلاثة آلاف وغنم الجيش الفرنسى مدافع الجيش العثمانى وذخائره ، وفقد الفرنسيون ٢٥٠ قتيلا ، وجرح منهم سبعمائة وخمسون ٠

وسرعان ما فرض الجيش الفرنسى الحصار على قلعة أبى قير التى كانت ماتزال تقاوم بقيادة ابن مصطفى باشا على رأس ثلاثة آلاف من الجنود ، واستمر القتال حتى يوم ٢ أغسطس حين نفذت ذخائر العثمانيين ، واحتل الفرنسيون القلعة ، وأخذ مصطفى باشا أسيرا ٠

وقد كرم بونابرت الجنرال مورا ، قائد الفرسان، على ما أبداه من بسالة ، ورقاه الى قائد فرقة ، وكذلك الجنرال لان Lannes وأمر بأن تسمى ثلاث من قلاع الاسكندرية بأسماء كريتان Crettın ودوفيفييه

Duvivier وليتورك Leturcq ، وهم القادة الذين قتلوا فى المعركة ، فأطلق اسم « كريتان » على قلعة كوم الدكة ، واسم دوفيفييه على قلعة الركنة ، واسم ليتورك على قلعة القمرية (غرب القبارى) ٠

كانت هزيمة العثمانيين فى موقعة أبى قير البرية ، التى كان اقتصار دور انجلترا فيها على مساعدة الحملة العثمانية بأسطولها فى البحر المتوسط ، سببا فى أن انجلترا اخذت تفكر فى الدخول فى ميدان القتال برا واعداد جيش انجليزى يشارك الجيش العثمانى فى الزحف على مصر ٠ وقد استقرت انجلترا على هذا الراى بعد أن تكررت هزائم العثمانيين على يد القوات الفرنسية فى مصر فى كل الحملات التالية التى تلت موقعة أبى قير البرية ٠ فقد هزمت الحملة العثمانية التى جردت على مصر فى أواخر شهر أكتوبر ١٧٩٩ ونزلت على شاطىء البحر بين بوغاز دمياط وبحيرة المنزلة فى يوم أول نوفمبر ، فقد هاجمها الجنرال فردييه Verdier عند عزبة البرج يوم أول نوفمبر ١٧٩٩ وانتصر عليها انتصارا كبيرا ٠ ثم هزمت الجيوش العثمانية مرة ثالثة فى موقعة عين شمس بعد نقض معاهدة العريش ، فى ٢٠ مارس ١٨٠٠ ، وتبدد الجيش العرمرم الذى جاء الى مصر بقيادة الصدر الأعظم ليتسلم مقاليد الحكم فى مصر بعد ابرام معاهدة العريش ٠

وعند ذلك قررت الحكومة الانجليزية الاشتراك فى القتال برا، وأعدت خطة حربية لحملة انجليزية عثمانية مشتركة استغرق الاعداد لها عدة أشهر ، وبمقتضاها أقلعت فى يوم ٢٢ فبراير ١٨٠١ بقيادة السير أبركرمبى Abercromby ويصحبه بعض السفن العثمانية ونحو ستمائة جندى عثمانى ، ووصل تجاه الاسكندرية مساء أول مارس ، وفى اليوم التالى ألقى مراسيه فى خليج أبى قير على مسافة سبعة أميال من الشاطىء ، ولما كانت الريح عاصفة فلم يمكن انزال الجنود الا فى يوم ٨مارس · وقد تمكنت هذه القوات التى كانت تبلغ ستة آلاف جندى ، هزيمة القوات الفرنسية التى وصلت على عجل بقيادة فريان Frian بفضل تفوقها العددى، واضطر الفرنسيون بعد خسارة فادحة الى التقهقر ، واتخاذ مواقعهم على المرتفعات عند المندرة (بين سيدى بشر والمنتزه) ، ولكن تقدم الانجليز يوم ١٢ مارس أجبر الفرنسيين على الانسحاب حتى أطلال قصر القياصرة ، أو معسكر قيصر Camp de Cesar (كامب دى سيزار) عند النقطة المعروفة الآن بمحطة مصطفى باشا (وبهذا الاسم سميت احدى محطات رمل الاسكندرية ، ولكنها تبعد قليلا عن موقعه القديم) · ودارت معركة على مقربة من مسجد سيدى جابر يطلق عليها المؤرخون الفرنسيون اسم معركة «نيكوبوليس»،

وهى تقع حاليا فى الجهة المعروفة باسم بولكلى وما حولها شرقى مصطفى باشا حتى جليمونوبولو ، وذلك فى يوم ١٣ مارس ١٨٠١ . وقد هزم فيها الفرنسيون أيضا ، ودخل الانجليز معسكر قيصر ، واتخذوا منه مركزا دفاعيا وقاعدة لاستئناف هجومهم ، ورابط جيشهم على خط يمتد من البحر الى بحيرة أبى قير (وهى غير موجودة الآن) وكانوا يسمونها « بحيرة المعدية » ، لاحراز السيطرة التامة على منافذ ترعة الاسكندرية .

فى ذلك الحين كان الجنرال مينو Menou الذى أصبح قائدا عاما للحملة الفرنسية بعد رحيل بونابرت الى فرنسا فى ٢٢ أغسطس ١٧٩٩ ومقتل خلفه كليبر فى يوم ١٤ يونية ١٨٠٠ ، قد وصل الى الاسكندرية يوم ١٩ مارس ١٨٠١ ليقرر مهاجمة القوات الانجليزية . وقد دارت المعركة يوم ٢١ مارس ١٨٠١ فى موقع يقع على مقربة من باب من أبواب الاسكندرية القديمة شرقى باب رشيد يسمى باب كانوب ، فسميت بمعركة « كانوب » ، وهى من أهم المعارك الحاسمة فى تاريخ الحملة الفرنسية فى مصر ، وقد منيت فيها القوات الفرنسية بالهزيمة ، وكان يقودها الجنرال رينييه Reynier والجنرال لانوس Lanausse والجنرال رامبون Rampon والجنرال رواز Roize وقد قتل فيها الجنرال لانوس والجنرال رواز والجنرال بودو

وكان من الجرحى الجنرال ديستان D'Estaing Beaudot والجنرال بوسار Boussart · ولكن خسارة الانجليز كانت فادحة أيضا ، فقد قتل منهم قائد الجيش نفسه الجنرال أبركرومبى ، والجنرال كوت Coot ومن الجرحى أوكس Oakes ولوسون Lawson والسير سدنى سميث وغيرهم ·

ومن هنا تحتل هذه الموقعة فى تاريخ الانجليز موقعا ممتازا ، يدل على ذلك أنهم أقاموا لها سنة ١٩٠١ نصبا تذكاريا بمناسبة مرور مائة عام على وقوعها ، يتمثل فى تمثال من المرمر منقوش عليه بالانجليزية أنه أقيم تذكارا للجنرال السير راف أبركرومبى ورفاقه الذين قتلوا فى هذه المعركة ، التى يسمونها « معركة الاسكندرية » وهذا النصب أقيم فى منطقة محطة سيدى جابر على مقربة من ثكنات مصطفى باشا التى أنشأها الانجليز بعد الاحتلال البريطانى فى هذا المكان لأنها تذكرهم بانتصارهم الحربى ·

وكان من نتيجة معركة كانوب أن ارتد الجيش الفرنسى الى أسوار الاسكندرية ، وأخذ مينو يستعد للدفاع عنها ، ولكن الجنرال هاتشينسون Hutchinson الذى خلف الجنرال أبركرومبى فى قيادة الجيش الانجليزى ، اثر فرض الحصار عليها ، ثم قام بخطوة

خطيرة فى ١١ ابريل ١٨٠١ هى قطع سد أبى قير لعزل الاسكندرية عن بقية أنحاء القطر ٠

كان سد أبى قير يفصل بحيرة مريوط عن بحيرة أبى قير القديمة التى كانت تتصل بالبحر المتوسط بواسطة فتحة اسمها « المعدية » ، (وقد أسماها الفرنسيون لذلك باسم « بحيرة المعدية ») ، فلما قطع السد ، طغت مياه البحر التى كانت تغذى بحيرة أبى قير على بحيرة مريوط فى الجنوب ، فغمرتها بالمياه بعد أن كانت شبه جافة بسبب انقطاعها عن البحر بواسطة السد ، وخربت عددا كبيرا من القرى والبلاد بلغت ـ وفقا لجراتيان لوبير ثلاثين قرية ، وانقطعت المواصلات بين الاسكندرية وداخل البلاد ، وانحصر الفرنسيون داخل الاسكندرية ، ولم يبق لهم طريق صالح سوى طريق العجمى الى الصحراء الغربية ٠

وقد عانت الاسكندرية تحت الحصار معاناة شديدة ، وأصبحت مهددة بالمجاعة ، خصوصا بعد أن سقطت مخازن الجيش المليئة بالمؤن والذخائر وغيرها فى يد الانجليز ، وأخذ الانجليز يضيقون الحصار على الاسكندرية من ناحية الغرب لمنع العربان الذين يمدون مينو وجيشه بالمؤن والأغذية خلال شهر مارس وابريل٠ وعندما أخذت الأقوات تشح تدريجيا عمد مينو الى تنظيم توزيع المؤن على الجيش بقدر معين وبدقة بالغة ،

واختص العمــال المشتغلين بأعمال التحصــينات بأكبر قدر • وفى أوائل يونية شحت الأطعمة لدرجة اضطرت مينــو الى اخــراج الأفواه العاطلة من الاســكندرية ، وابعادهم الى الرحمانية • ومنذ نهاية شهر مايو بدأت الامراض الناجمة عن المجــاعة تفتك بالاهالى وبجنــد مينو ، وامتنع ورود الأقوات نهائيا ، فانعدم اللحم من الأسواق ، وصار الخبز يوزع على الجند والأهالى مخلوطا بالأرز ، ثم أصبح الأرز يوزع وحده ، ثم اختفى الأرز بدوره ، وصار مستشفى الاسكندرية يغص بالمرضى •

ثم أخذ الموقف يزداد سوءا فى الاسكندرية عندما سلمت القاهرة للانجليز ، الذى كانوا فى ذلك الحين قد تعزز جيشــهم بمجىء جيش عثمانى برا من جنــوب سوريا بقيادة يوسف باشا ضيا ، يبلغ عــدده عشرين ألفا ، زحف من العريش وانتصر على الفرنسيين يــوم ١٦ مايو فى منتصف الطريق بين الخانكة وبلبيس فى معركة الزوامل، ثم زحف الجيشان الانجليزى والعثمانى على القاهرة ، واستسلم الجيش الفرنسى فى القاهرة باتفاقية الجلاء فى ٢٧ يونية ١٨٠١ ، وأبحرت بهــم السفن الى فرنسا فى أوائل شهر أغسطس ١٨٠١ •

فقــد قرر الانجليز بقيــادة الجنرال هاتشينسون تشديد الحصار على الاسكندرية عن طريق نقل حــوالى خمســة آلاف جنــدى بقيادة الجنرال كوت Coot

الى غرب الاسكندرية لاحتـلال سـاحل العجمى وقلعة العجمى ، لارغام الفرنسـيين عـلى توزيع قواتهم بين الشرق والغرب ٠ وتم فى مسـاء يوم ١٦ أغسـطس ١٨٠١ نقل أربعـة آلاف جنـدى مع رجال المدفعيـة والمهندسين على سفن المدفعيـة التركية الصـغيرة التى دخلت بحيرة مريوط منذ ١٣ أغسطس ، وتولى الجنرال كوت القيادة العامة ، وفي الوقت نفسه كانت احـدى البوارج الانجليزية قد تمكنت من الوقوف قريبـا من رأس التين وبدأت فى قذف الاسكندرية بقنابلها ٠ وفى ١٨ أغسطس بدأ هجوم الانجليز على حصن قلعة العجمى (أو حصن مرابط Marabou كما يسميها الفرنسيون) واستطاعوا أن يدخلوا الى ميناء الاسكندرية عددا كبيرا من الفرقاطات والسفن والقراويت والأباريق واتخذت موقعها قبالة الفرقاطات الفرنسـية التى اضطرت الى الاحتماء داخل الميناء ، واعتقد الفرنسيون أن الانجليز يستهدفون انزال الجند عند رأس التين كتوطئة للهجوم على الاسكندرية ، فعمدوا الى اغراق عدد من سـفنهم واتخذوا منها جسرا وضعوا فوقه بطاريات مدافعهم ، واستمر القتال حتى يوم ٢٥ أغسطس حتى أذعن مينـو لرغبة قواده فى الاستسلام ٠

وعلى هذا النحو دارت المفاوضات فى ظل أوضاع سيئة للقوات الفرنسية ، فقد كانت نسبتها الى القوات المحاصرة كنسبة واحد الى عشرة ، وكان للقوات المحاصرة

أربعون بارجة مخصصة للحصار ، فضلا عن أن الأمراض كانت قد فتكت بالحامية الفرنسية ، ونفدت الأقوات من المدينة وانقطع ورود المياه العذبة اليها . وفى يوم ٣١ أغسطس ١٨٠١ تم الاتفاق على شروط الجلاء عن الاسكندرية بين كل من اللورد كيث والجنرال هاتشينسون وحسين قبطان باشا والجنرال مينو ، وتقضى بجلاء القوات الفرنسية عن الاسكندرية وقلاعها وملحقاتها فى عشرة أيام ، وتسليم السفن الفرنسية ، ونقل الجنود الفرنسيين على سفن الحلفاء بأسلحتهم وأمتعتهم وعشرة مدافع ، مع تسليم باقى المدافع والذخيرة ، وأن يسلم أعضاء المجمع العلمى ولجنة العلوم والفنون جميع الآثار والمجاميع والخرائط والرسوم والمخطوطات التى جمعوها فى مصر .

على أن العلماء الفرنسيين رفضوا تسليم كنوزهم العلمية وهددوا باحراقها ، فسمح لهم باصطحابها معهم ، وفى خلال شهر سبتمبر ١٨٠١ أخذت السفن المقلة للجنود الفرنسيين تقلع من الاسكندرية قاصدة فرنسا ، وكان عددهم ٧٢٠٠ من الجنود ، و ١٥٠٠ من البحارة ، و ١٤٠٠ من المرضى ، و ٦٨٠ من المدنيين ، وكان آخر من غادر الاسكندرية الجنرال مينو الذى أصيب بالطاعون فى أواخر أيامه فغادر الاسكندرية يوم ١ أكتوبر ١٨٠١ . وبهذا الجلاء انتهت صفحة الحملة الفرنسية فى الاسكندرية خاصة ، وفى مصر عامة .

الاسكندرية فى عهد الاحتلال الانجليزى الأول :

بعد خروج الفرنسيين من مصر تنازعت السلطة فى مصر ثلاث قوى هى : العثمانيون ، والانجليز ، والمماليك • وبالنسبة للعثمانيين كان يوجد فى ميناء أبى قير أسطول عثمانى بقيادة حسين قبطان باشا ، يتكون من نحو ستة آلاف جندى يحتلون المواقع القريبة من مرسى الأسطول • أما فى ميناء الاسكندرية فكان يوجد أسطول انجليزى بقيادة الجنرال هاتشنسون • وسرعان ما نشب الصراع بين العثمانيين والمماليك بعد أن انتهز العثمانيون الفرصة لاحكام سيطرتهم على مصر ، واضطر المماليك الى طلب مساعدة الانجليز فى هذا الصراع • وقد شهدت الاسكندرية جانبا من هذا الصراع حين دبر حسين قبطان باشا مؤامرة للمماليك فى أوائل أكتوبر ١٨٠١ ، استدعاهم بواسطتها الى زيارته بمعسكره فى أبى قير للاتفاق معهم على تخويلهم سلطة الحكم ، حيث كانت تنتظرهم مذبحة قتل فيها عدد كبير منهم وسيق الباقون الى بارجة قبطان باشا واعتقلوا بها • وقد أثار هذا الحادث غضب الجنرال هاتشينسون وكادت الحرب تنشب بين الانجليز والعثمانيين ، فقد طرد الانجليز العثمانيين من الاسكندرية ، وأغلقوا أبواب الأبراج ، وتوجهت قوة انجليزية لحصار قبطان باشا من البر والبحر • وانتهت الأزمة بتسليم الأسرى المماليك الى الانجليز •

وفى الفترة التاليـة تقلص الوجود العســكرى الانجليزى فى مصر حتى انحصر فى الاسـكندرية تحت قيادة الجنرال كافان Cavan أولا ثم الجنرال ستوارت Stewart ثانيا • ومع أنه تم فى ٢٧ مارس ١٨٠٢ ابرام الصلح المعروف بصلح اميان Amiens بين كل من فرنسا وانجلترا وهولندا واسبانيا ، ومن شروطه جلاء الانجليز عن مصر، الا أن الانجليز أخذوا يماطلون فى الجـلاء ، الأمر الذى اضـطر فرنسـا الى ارســال الكولونيل سباستيانى Sebastiani الى الاسكندرية خلال شهر أكتوبر ١٨٠٢ لمطالبة الانجليز بالجـلاء • وأخذت تلح فى هذا الجلاء حتى قررت انجلترا سحب قواتها من الاسكندرية • وعندما أبلغ الجنرال ستوارت زعماء المماليك أوامر حكومته بجلاء القوات الانجليزية، وقع هـذا الخبر عليهم وقع الصـاعقة ، لأنهـم كانوا ينظرون للانجليز كحماة لهم •

وفى يوم ١٤ مارس ١٨٠٣ كان الجنرال ستوارت قد أتم استعداداته للجلاء ، ثم سلم قلاع الاسـكندرية وأبراجها الى خورشيد باشا محافظ المدينـة يـوم ١٤ مارس ١٨٠٣ ، وأقلـع الأسـطول الانجليزى يوم ١٦ مارس يقل الجنود الانجليز وعددهم ٤٫٤٠٠ جندى • وبذلك انتهى الاحتلال الانجليزى الأول •

الاسكندرية فى عهد الفوضى المملوكية :

كان بعـــد جـلاء الانجليز عن مصر آن أصـبح العثمانيون هم أصحاب الحول والطول فى الاسكندرية . وفى الوقت نفسه تجدد القتال بين العثمانيين والمماليك، وثارت الفتن فى الجيش العثمانى نفسه ، مما ترتب عليه فرار خسرو باشا ، الوالى العثمانى . وتعيين طاهر باشا قائمقاما له ، ثم قتل هذا الأخير على يد الانكشارية من جنوده . وقامت الدولة العثمانية بتعيين على باشـا الجزائرى واليا . وجاء هذا الى الاسكندرية فى أوائل يوليـة ١٨٠٣ بعـد أن استولى المـماليك عـلى بقية البلاد فيما عدا رشيد . ثم سقطت رشيد فى أيديهم فى أغسطس ١٨٠٣ ، فأصبحت الاسكندرية هى المدينـة الوحيدة فى يد العثمانيين ، كما كان الحال فى المرحلة الأخيرة من الحملة الفرنسية ، وأصبح عليها أن تخوض ظروفا قاسية أخرى .

ذلك أن على باشا الجزائرلى لم يلبث أن أخذ يعمل على تحصين الاسكندرية حتى لا تقع فى يد المماليك . وقد قادته سياســته الحمقــاء الى ارتكاب ما ارتكبـه الجنرال هاتشينسون عند محـاصرته الفرنسيين بقيادة مينو فى الاسكندرية ، فقطع سد أبى قير ، دون أن يعى أنه بذلك يحرم نفسه من المياه العذبة . وكان المهندس

السويدى « رودون » Rhodon قد قام باصلاح السد بعد جلاء الفرنسيين بتكليف من الباب العالى .

وقد كان لقطع سد أبى قير على يد على باشا الجزائرلى نفس الأثر التخريبى لقطعه على يد هاتشينسون ، فان مياه البحر المتوسط طفت على شمال البحيرة ، وخربت كثيرا من القرى والأراضى ، وأتلفت ترعة الاسكندرية (المحمودية حاليا) التى كانت تروى الثغر بالمياه العذبة ، فانقطعت المياه عن الاسكندرية ، وتعطلت المواصلات اليها، فاشتد الضيق بأهلها ، واضطر الكثيرون الى النزوح عنها والهجرة منها ، وبعضهم ــ كما يقول الجبرتى ــ غادر مصر كلية ، فسافر الى أزمير ، وبعضهم الى قبرص ورودس . ولم يبق بالاسكندرية سوى الفقراء والعجزة !

وفى نفس الوقت ، كان حكم الجزائرلى باشا فى الاسكندرية حافلا بالجور والظلم ، ومصادرات الناس فى أموالهم وبضائعهم ، وتسلط عساكره عليهم بالجور والخطف والفسق ، هذا الى جانب اهانته لأهل العلم ، حتى انه سجن الشيخ محمد المسيرى على قدره وعلمه . وفى الوقت نفسه ، وفيما يتعلق بالأجانب فى الاسكندرية ، فانه لم يحترم حقوقهم التى خولتها لهم معاهدات الامتيازات ، وأهان أعلامهم وشاراتهم الموضوعة على متاجرهم ومنازلهم . وكان جنوده ينتهزون

فرصة خروجهم للتدريب اليومى فى ساحة المنشية ، فيمرون بحى الافرنج ، ويطلقون الرصاص على المساكن ووكالات القناصل ، حتى ضج هؤلاء بالشكوى، وقرروا الانسحاب جميعا الى السفن الأجنبية الراسية بالاسكندرية ، بينما انسحب القناصل أنفسهم الى سفينة حسين قبطان باشا قائد الأسطول العثمانى ، الذى كان يساند خسرو باشا المعتقل بالقاهرة · ولم يقبل هؤلاء النزول الى الاسكندرية واستئناف حياتهم العادية الا بعد أن وعد على باشا الجزائرلى باحترام معاهدات الامتيازات ·

على أن على باشا الجزائرلى لم يلبث أن غادر الاسكندرية فى ٢٦ ديسمبر ١٨٠٣ فى قوة تبلغ ٢٥٠٠ من المشاة و ٥٠٠ من الفرسان بدعوة من المماليك ـ الذين تظاهروا بالرغبة فى الوفاق ، لتولى الولاية فى القاهرة ، وكان غرضهم القضاء عليه ، والاستيلاء على الاسكندرية · ومع أنهم أفلحوا فى قتله عند القرين ، بين بلبيس والصالحية فى ٢٦ يناير ١٨٠٤ ، الا أنهم لم يفلحوا فى الاستيلاء على الاسكندرية ·

وقد حاولوا تكرار نفس الحيلة التى حاكوها لعلى الجزائرلى ، وذلك بدعوة أحمد خورشيد باشا ، الذى خلف على باشا فى حكم الاسكندرية ، الى القاهرة لتولى

باشويتها ، وكان غرضهم خضوع الاسكندرية لباشوية القاهرة ، ولما كانت باشوية القاهرة بدورها خاضعة لهم ، فسوف يتمكنون من تعيين حاكم للاسكندرية يكون طوع ارادتهم ·

وقد لعبت السياسة الانجليزية دورا في محاولة اقناع خورشيد باشا بذلك ، نظرا لأن هذه السياسة كان يهمها أن تكون الاسكندرية في يد البكوات المماليك، الذين كانت تعتقد أن في وسعهم الدفاع عن الاسكندرية ضد أى غزو فرنسى متوقع في ذلك الحين · على أن خورشيد باشا عندما أدرك آن غرض المماليك الاستيلاء على الاسكندرية واخضاعها لسلطة حكومتهم فيالقاهرة ، رفض أن يكون تسليم الاسكندرية ثمنا لهذه الباشوية· وقد أقر الباب العالى خورشيد باشا حاكما للاسكندرية، وأمره ألا يقبل دخول المماليك اليها ، وأن يحافظ على الاسكندرية ويحول دون دخول أية قوات اليها سوى تلك التى ترسلها له حكومته برا وبحرا ·

على أن خطر المماليك لم يلبث أن زال ، بسقوط حكومتهم فى القاهرة على يد الثورة الشعبية التيانفجرت في القاهرة بين ٨ و ١٣ مارس ١٨٠٤ ضدهم ، بعد تزايد مظالمهم على الشعب واعتداءاتهم عليه ، وهى الثورة التى أبرزت دور محمد على · فعندما أراد عثمان بك البرديسى ، الذى أصبح صاحب السلطة فى القاهرة

بعد تخلصه من منافسه محمد بك الألفى ، أن يفرض ضريبة جديدة على جميع الأهالى بلا استثناء ، وكلف عمال الحكومة بجبايتها من كل فرد من أفراد القاهرة من ملاك ومستأجرين ، لكى يتمكن من دفع مرتبات جنوده ، ثار القاهريون ، واشترك معهم محمد على ، قائد الجنود الألبانيين . فأمر جنوده بمهاجمة المماليك الموجودين بالقاهرة فى يوم ١١ مارس ١٨٠٤ ، ففروا، وعلى رأسهم زعيمهم عثمان بك البرديسى وابراهيم بك، وسقطت قلعة الجبل فى يد محمد على . وقتل من المماليك وجنودهم فى ذلك اليوم نحو ثلثمائة وخمسين . وانقض الشعب فى رشيد ودمياط وسائر عواصم المديريات على الحكام المماليك ، فهربوا الى الصعيد ، وبذلك دالت دولتهم .

وقد قع الاختيار بعد ذلك على أحمد خورشيد باشا، حاكم الاسكندرية ، ليكون واليا على مصر ، بناء على اتفاق بينه وبين محمد على ، وأطلقت طابيات الاسكندرية مدافعها لاعلان ولاية خورشيد على مصر ، وغادر الاسكندرية الى القاهرة يوم ١٦ مارس ليصلها فى ٢٦ مارس ، وترك وكيله طاهر بك حاكما عليها ، وبذلك أصبحت الاسكندرية تحت حكم باشوية القاهرة ، وتثبت ذلك عندما وصل خورشيد باشا فرمان تثبيت الولاية فى ٢٨ ابريل ١٨٠٤ .

على أن وقوع أحمد خورشيد باشا تحت سيطرة محمد على ، الذى كان يميل الى فرنسا ، لم يلبث أن دعا السياسة الانجليزية الى التفكير فى مشروع يقضى باحتلال الاسكندرية لمنع وقوع غزو فرنسى محتمل على مصر، وأصدرت تعليماتها الى الجنرال السير جيمس كريج James Craig فى البحر المتوسط فى ٢٩ مارس ١٨٠٥ بأنه فى حالة قيام الفرنسيين بأى عمل ضد مصر ، يصبح احتلال الاسكندرية أمرا ضروريا .

ولم يلبث أن زاد خوف السياسة الانجليزية من وقوع غزو فرنسى عندما استقر الأمر لمحمد على فى مصر بعد الثورة الجديدة التى نشبت فى أول مايو ١٨٠٥، وأطاحت بالوالى العثمانى أحمد خورشيد باشا، وأتت بمحمد على واليا على مصر بارادة الشعب فى ١٣ مايو ١٨٠٥ ، ثم جاء فرمان السلطان العثمانى فى ٩ يولية ١٨٠٥ بتثبيت محمد على فى الولاية ــ فقد أخذت السياسة الانجليزية تتآمر مع المماليك الموالين لانجلترا بزعامة محمد الألفى ، لطرد محمد على من الحكم . وعودة حكومة المماليك فى القاهرة .

وفى الوقت نفسه فان موافقة الحكومة العثمانية على تعيين محمد على لم يكن معناه الاطمئنان اليه أو نية التسليم له بالحكم ، اذ لم تلبث أن أوفدت قبطان باشا فى أسطول عثمانى يقل ٢٫٥٠٠ من الجنود لمراقبة

الحالة والتدخل بما يثبت السلطة العثمانية . وقد وصل هذا الأسطول الى أبى قير يوم ١٧ يولية ١٨٠٥ . وفى أثناء وجود هذا الأسطول دبر المماليك هجوما على القاهرة في ١٦ أغسطس ١٨٠٥ ، وهو يوم الاحتفال بوفاء النيل ، ولكن الهجوم فشل ، وأسفر عن قتل عدد كبير منهم . وعندئذ شعر قبطان باشا بأن الأمر قد توطد لمحمد على ، فرحل عن البلاد فى أكتوبر ١٨٠٥ .

على أن الدولة العثمانية ـ مع ذلك ـ حرصت على استبقاء الاسكندرية تحت سيطرتها المباشرة ، دون أن تسلم بها لمحمد على . وكانت الاسكندرية فى فترة النزاع على السلطة فى القاهرة بين المماليك والباشوات العثمانيين ، وبينهم وبين محمد على ، قد ظلت معقلا للنفوذ العثماني . ذلك أن حاكم الاسكندرية طاهر بك كان هو وكيل أحمد خورشيد باشا الوالى العثمانى، وفى يولية ١٨٨٥ حل محله أمين أغا فى حكومةالاسكندرية . وقد سارعت الحكومة العثمانية الى اصدار فرمان بتثبيته فى حكومة الاسكندرية . وقد استرعى هذا الاجراء نظر الوكيل القنصل الفرنسى دروفتي ، فكتب الى حكومته فى ١٦ أكتوبر ١٨٠٥ يقول :

« ان صدور هذا الأمر من القسطنطينية بتعيين أمين أغا حاكما للاسكندرية « برا وبحرا » ، يشير الى أن الباب العالى انما يريد التمسك بهذا المكان مستقلا

عن باشوية مصر » . وكتب مسيت Misset ، القنصل البريطانى ، الى حكومته فى ٢٠ أكتوبر يقول ان « فرمانا وصل من الباب العالى الى حاكم هذه المدينة ، المستقل عن باشوية مصر ، بتعيينه فى حكم الاسكندرية وحصونها ، ويأمره بمنع أى جند من دخولها ، فيما عدا أولئك الملتحقين بخدمته هو نفسه . واذا قبل محمد على هذا الوضع ، فلا خوف علينا من علاقاته مع فرنسا ، ولكن لا يجب علينا أن نتوقع أنه سوف يسلم بحرمانه من ميناء كهذا له أهميته الكبرى لحكومته وبدونه يتعذر عليه تنفيذ تحقيق استقلاله عن الباب العالى بمساعدة فرنسا .

وفى الواقع أن القنصل البريطانى ميسيت كان فى ذلك الحين يسعى فى الاسكندرية لتهيئة الرأى العام الاسكندرى لقبول فكرة احتلال الثغر بقوات بريطانية، وقد بذل محاولاته لكسب الشيخ محمد المسيرى الى جانبه ، نظرا لما عرف عنه من ميول فرنسية ، وقد كتب دروفتى الى الحكومة الفرنسية يخبرها بأن الهتافات تعالت فى الاسكندرية يوم ٤ يونية ١٨٠٥ « بحياة السلطان جورج » ! وكان يهتف بها العربان ، الذين وزع عليهم الوكلاء الانجليز المال ، لتحريك الشعب للهتف بحياة ملك بريطانيا . كما أصاب ميسيت نجاحا فى مساعيه مع « الشوربجى » رئيس قضاء الاسكندرية

سيدى قاسم غريانى . وعلاوة على ذلك فقد عمل ميسيت على استمالة السلطات الحاكمة فى الثغر وعلى رأسها أمين آغا حاكم الاسكندرية .

على أن الدولة العثمانية فى ذلك الحين كانت تستعد لسلب الانجليز كل ذريعة للتدخل ، عن طريق انهاء حكم محمد على فى مصر ، وتعيينه حاكما على سالونيك ، والاتفاق مع محمد الألفى لعودة حكومة المماليك الى مصر ، واسناد ولاية مصر الى باشا جديد يكون آلة فى يد المماليك كما كان الحال قبل الحملة الفرنسية ، وهو موسى باشا ، وتسمح للمماليك بشراء الرقيق وجلبهم الى مصر بعد أن منعوا من ذلك منذ ثلاث سنوات ، وفرض هذا الحل بالقوة .

وهذا هو الذى تم فى ٢٤ يونية حيث أنفذت الحكومة العثمانية أسطولا على رأسه القبطان صالح باشا ، يتألف من أربع بوارج من ذوات الخمسين مدفعا ، وثلاث فرقاطات وثلاث قراويت ، عدا سفينة القيادة ، وهى الفرقاطة جوستيس Justice وعليها القبطان صالح باشا . جاء فى النشرة التى صدرت فى القسطنطينية فى ٢٦ يونية أن « الغرض من ذهاب القبطان باشا هو الوصول الى الاسكندرية والبقاء بها حتى يتنفذ الاتفاق فى صالح المماليك » . وقد وصل القبطان باشا الى الاسكندرية فى ٢٧ يونية ١٨٠٦ ،

وفى ١٩ يولية وصل موسى باشا ، وأرسل قبطان باشا الى محمد على يبلغه فرمان النقل والتغيير ، ويأمره بالذهاب الى سالونيك مقر ولايته الجديدة ٠

على أن الخطة فشلت، فقد استعد محمد على للحرب، واستند الى المشايخ والعلماء فى التمسك بموقعه ، فى الوقت الذى أخذ يبذل المساعى لدى قبطان باشا وفى القسطنطينية بالرشاوى ، وانتهى الأمر بالتوصل الى اتفاق يقضى بتثبيت محمد على فى الولاية فى مقابل أن يؤدى الى الباب العالى ٤٠٠٠ كيس ، وأن يجعل ابنه ابراهيم رهينة بالاستانة حتى أداء هذا المبلغ ، وبالفعل وصل قرار الباب العالى بتثبيت محمد على فى الولاية يوم ٥ أكتوبر ، وفى ١١ نوفمبر ١٨٠٦ بارح الأسطول العثمانى الاسكندرية ٠

على أنه يلاحظ فى الفرمان الجديد بتثبيت محمد على فى الولاية حرص الباب العالى على استمرار الاسكندرية منفصلة فى شئونها عن باشوية محمد على ، وخضوعها فى ادارتها لاشراف الباب العالى رأسا ، ثم ضبط ايرادات جمركها ، بالاضافة الى جمركى رشيد ودمياط ، لحساب القسطنطينية ٠ أى بقاء الاشراف على أهم شئون الادارة بالاسكندرية فى يد الباب العالى ٠

على أن ذلك لم ينف حقيقة أن محمد على قد أصبح مثبتا فى حكم مصر مع ميوله الفرنسية ، الأمر الذى

يهدد مصلحة انجلترا ، خصوصا بعد تحول الباب العالى الى فرنسا بعد الانتصارات التى أحرزها نابليون فى النمسا ، واعترافه بلقب نابليون الامبراطورى رسميا، وترحيبه ترحيبا كبيرا بالسفير الفرنسى فى القسطنطينية سيباستيانى فى أغسطس ١٨٠٦ ، وتحرج الأمور بين تركيا وروسيا لدرجة تهدد بقيام الحرب بين الدولتين وهو ما أصبح متوقعا فى سبتمبر ١٨٠٦ ، وتوهم الانجليز أن مصر ستكون ثمن التفاهم الفرنسى التركى .

وعلى ذلك لم يكد يستقر الأمر فى يد محمد على ، ويبارح الأسطول العثمانى الاسكندرية فى ١١ نوفمبر ١٨٠٦ ، حتى أصدرت الحكومة الانجليزية تعليماتها الى قواتها فى صقلية لارسال حملة الى المياه المصرية لتنفيذ مشروع احتلال الاسكندرية ، لمنع الفرنسيين من وضع أقدامهم مرة أخرى فى مصر ، ولتمكين القوات الانجليزية أثناء وجودها بالاسكندرية من اعطاء تأييدها وحمايتها للقوى السياسية الموالية لها ، ويقصد بها المماليك من جماعة الألفى . وقد عين لقيادة هذه الحملة الميجور جنرال ماكنزى فريزر **Mackenzie Fraser** وكانت الأوامر التى صدرت اليه صريحة ، وهى أن الغرض من الحملة انما هو احتلال الاسكندرية فقط لمنع نزول الفرنسيين اليها ، وليس الغرض منها فتح مصر . وقد صدرت الأوامر بابحار الحملة فى ١٨

فبراير ، وأقلعت من مســـينا فى ٦ مارس ١٨٠٧ ، ووصلت الى مياه الاســكندرية بعــد ظهر ١٦ مارس ١٨٠٧ .

الاسكندرية وحملة فريزر :

وصف القنصل الانجليزى ميسيت الاسكندرية يوم ١٤ مارس ١٨٠٧ ، أى قبــل وصــول حملة فـريزر بيومين ، بأنها ذات حامية على درجة كبيرة من الضعف ، ولا تبلغ ثلاثمائة رجل . وقال انه يمــكن للاســطول الانجليزى أن يجد فى أبى قير مكانا ، ويستطيع الجنود النزول الى البر دون مقاومة ، لأن القلعة فى حالة تهدم وليس بها سوى عشرين من الجنــد فحسب ، ويمــكن انزال عدد من ألف ومائتى جندى الى ألف وخمسمائة عند مرابط (العجمى) ، ويوجد بينها وبين الاسكندرية خط دفاع ممتد من الميناء حتى بحيرة مريوط يتألف من خنــدق وسياج من الأوتاد (متاريس) وتعززه قلعــة الحمامات من جهــة اليســـار ، وبطارية من مدفعين فى الوسط ، وبطارية من مدفع واحد من جهة اليمين .

وتحدث عن ثمرة نشاطه مع مشايخ الاسكندرية ، ونجاح مساعيه لجذب الشيخ المسيرى ، فقال انه يذكر بارتياح أن الشيخ محمد المسيرى ، وهو رجــل متمتع بنفوذ لا حد له على سكان المدينة ، قد أرسل الى فى هذا الصباح (٢٥ مارس) يجدد تأكيداته التى أعطاها لى

مرارا بأنه اذا حدث وغزا البريطانيون مصر ، فان أهل الاسكندرية سوف يتلقونهم بصدور مفتوحة ، وانهم أبعد ما يكونون عن مقاومتهم ·

كان حاكم المدينة هو أمين أغا ، ولم يكن يظهر ميلا للاعتراف بسلطان محمد على بعد ان وصل الى الولاية رغم ارادة الباب العالى ، وكان يخشى أن تسقط المدينة فى قبضة الأرنؤود (الألبانيين) فينهبونها ويعيثون فيها فسادا · وكانت الطبقة ذات النفوذ فى الاسكندرية من التجار الذين لا يعنيهم سوى ضمان مصالحهم التجارية وأمنهم على أموالهم وأشخاصهم · ولم يكونوا يعرفون عن حكومة محمد على فى القاهرة الا ما صار يبلغهم عنها ويذاع فى المدينة من قصص عن اعتداءات الجند على القاهريين ، والمذابح المتكررة التى وقعت بالقاهرة خلال العامين السابقين · ولذلك آثر الاسكندريون أن يظلوا فى شبه عزلة عن سائر أهل البلاد ، وصار لا يربطهم بهم أى شعور من المصلحة المشتركة ، بل ولذلك فانهم كتبوا الى القسطنطينية بايعاز من « ميسيت » يطلبون منها ابقاء مدينتهم خارجة عن نطاق باشوية القاهرة ، وهو ما استجابت له القسطنطينية على الفور ·

ومن الطبيعى فى مدينة كالاسكندرية لا تخضع لباشوية القاهرة ، ولا يشعر أهلها بوجود روابط بينهم وبين سائر مواطنيهم أن يكون خوفهم الأول من الأرناؤود

ومحمد على ، وأن يعتقدوا بأنه اذا حدث الغزو الأجنبى ونزل الغزاة بمدينتهم فان ذلك يكـون من مصـلحتهم يعود عليهم بالنفع المحقق من حيث زيادة نشاط الحركة التجارية ٠

وهذا يفسر موقفهم من الحملة الانجليزية ، فعندما صدرت أوامر السلطان الى محمد على بمقاومة الانجليز اذا حاولوا النزول فى البلاد ، أرسل طائفة من الجنـد الأرنؤود بقيادة سليمان أغا بطريق النيل الى الاسكندرية من أجل الاشتراك فى الدفاع عنها ـ وقد وصل سليمان أغا بجنده الى أبى قير فى ١٤ مارس استعدادا لدخول الاسكندرية ٠ ولكن الأهالى قاوموا مجىء هذا الجنـد مقاومة شديدة ، وتصـوروا أن المدينـة اذا دخلهـا الأرنؤود فسوف تسود فيها الفوضى ، وتنهب متاجرها وأموالها ولا يأمن أحد من سكانها على حياته ، وهرعوا الى تسليح أنفسـهم لمنع دخـول الأرنؤود الى مدينتهم بالقوة ٠ وتزعم حركة المقاومة الشيخ محمد المسيرى ، والتف حوله أعيـان الثغر ، وذهب بهـم الى أمين أغا يطالبه بتأمين مصالحهم ٠ وقد أظهر أمين أغا عزمه على مقاومة أوامر محمد على بالقوة ٠ وكتب « دروفتى » يقول ان سكان الاسكندرية جميعهم قد تسلحوا فى ليل ١٤ مارس لدفع الأرنؤود اذا أحضروا ، وان أمين أغا يؤكد انتفاء الحاجة الى هؤلاء الجنود ، حيث أن أهـل الاسكندرية فى وسعهم وحدهم الدفاع عنها ٠ وعـلى

ذلك فما ان وصلت مراكب الأرنؤود الى الميناء القديم فى صبيحة يوم ١٥ مارس ، حتى وجد هـؤلاء أبـواب المدينة مغلقة ، والأسوار محصنة ، والأهالى عـلى قدم واحدة لردهم بالقوة • فاضطرت القوة للانسـحاب الى رشيد ، وأبلغ أمين والمشايخ حكومة القاهرة بان فيهم الكفاية ولا يحتاجون الى عساكر زيادة تأتيهم من مصر ، لأنهـم اذا كثروا فى البلد تأتى منهم الـوان الفسـاد والافساد !

على أنه فى اليوم التالى ١٦ مارس كانت السفينة الانجليزية الحربيـة « ويزارد Wizard » تصـل الى الاسكندرية ومعها سفينة أخرى ، ونزل منها ضابطان أبلغـا أمين آغا أن العـلاقات قـد قطعت بين انجلترا وتركيا ، وأن أسطولا انجليزيا وصل ، وطالبا بتسليم الاسكندرية طوعا • ولكن أمين أغا لم يسعه فى هـذه المقابلة الرسـمية الا أن يتمسـك بما لديه من أوامر الباب العالى وهى أنه لا يمكنهم من النزول الا بمرسوم سلطانى • ثم طلب استشارة المشايخ ، وقد اشترك فى الاجتماع مع المشايخ الضابطان الانجليزيان ، ولم يسفر الاجتماع عن قرار حاسم بالمقاومة •

وعلى هذا النحو اسـتطاع فريزر انزال قسم من جنوده الى البر فى مساء ١٧ مارس دون مقاومة ، وذلك بالرغم من خطورة هذه العملية بسبب اشتداد الأنواء ، وعجز الانجليز عن ادخال سفينة قيادتهم (تيجر Tiger

فى الميناء القديم نتيجة لتسرب المياه اليها ، ورسو بقية قطع الأسطول على مسافة ميلين من الشاطىء وحتى انه كان فى استطاعة الأسطول العثمانى الضعيف ، الرابض على مسافة تقل عن أربعة أميال فحسب ، تحطيم السفن الانجليزية لو اشتبك معها فى معركة وقتئذ ٠ ولـكن مغامرة انزال الجنود البريطانيين الى البر مرت بسلام ، وانقضى ليـــل ١٧ مارس دون أن يلقى الانجليز أية مقاومة ٠

ثم بدأ فى اليوم التالى الزحف ، فاقتحمت القـوات الانجليزية ، التى نزلت فى مكان يبعد أميالا قليلة الى الشرق من مرابط (العجمى) ، خطا من المتـاريس ممتدا من قلعة الحمامات (بين مرابط والميناء القديمة) الى بحيرة مريوط ، تعززها ثلاث بطاريات من المدفعية الخفيفة ، عدا بطاريات قلعة الحمامات وهى من ثلاثة عشر مدفعا ، واستطاعت بعد اشتباك الوصول الى باب عامود بومبى (السوارى) حيث وجـدوا الحـامية به مستعدة لملاقاتهم ، والبـاب محصنا ، والأسـوار خلفها الجند والأهلون مسلحون ٠ وعندئذ آثر الانجليز متابعة الزحف شرقى المدينة لاتخـاذ مواقعهم فى البقعة التى احتلها جيشهم قبل ذلك يوم معركة كانوب (٢١ مارس ١٨٠١) فى حربهم مع مينو ، فوصلوها فى يـوم ١٩ مارس ٠ وبادر فريزر بارسال قوات لاحتـلال قلعـة أبى قير ، وفى اليوم التالى ٢٠ مارس وافق أمين أغا على

التسليم بعد أن امتنع ثماني وأربعين ساعة لكي يحمي نفسه من غضب حكومته ·

وقد تألفت شروط تسليم الاسكندرية من سبع مواد ، فنصت المادة الأولى على احترام حقوق الملكية وتأمين أهل الاسكندرية على اموالهم وأملاكهم، واحترام عقائدهم ودياناتهم وجوامعهم وقوانينهم · وفي المدة الثالثة استيلاء القوات الانجليزية على السفن العثمانية ومتعلقاتها (وقد استولى الانجليز على الفرقاطتين والقرويت العثمانية) وفي المادة الخامسة اصدار عفو شامل عن السكان بغض النظر عن مسلكهم في الدفاع عن المدينة · وف المادة السادسة عدم اجراء أي تفتيش في منازل الأفراد حتى ولو كانوا من أعداء بريطانيا · وفي المادة السابعة أن تتسلم القوات البريطانية باب رشيد وقلعتي كريتان Crétin وكافاريللي Caffarelli وفي ليل ٢٠ ـ ٢١ مارس ١٨٠٧ تسلم الانجليز قلعتي كريتان وكافاريللي ، ولم يكلفهم الاستيلاء على الاسكندرية سوى ستة قتلى وثمانية جرحى فقط !

كان عدد رجال الحملة الانجليزية ٦٠٠٠ جندي، بينما بلغ عدد رجال حملة الجنرال بوتابرت نحو ٣٦ ألف جندي وأسطول من أعظم الأساطيل · ويرجع السبب في صغر الحملة الانجليزية الى أنها كانت تعتمد على المماليك داخل البلاد لمساندتها ، ولم تكن أهدافها تتجاوز احتلال الاسكندرية ·

علـى أن تقـديرات الحملة الانجليزية بالنسـبة للمماليك لم تتحقق · فقد مات محمــد الألفى ، زعيم المماليك ، قبل مجىء الحملة بأربعين يـوما ، وتشتت أنصاره · وكان محمد على فى صراع معهم فى الصعيد، وقد أبرم معهم الصلح ليتفرغ لقتال الحملة الانجليزية على أساس أن يترك الصعيد لهم ، وعاد الى القاهرة يوم ١١ ابريل ١٨٠٧ حيث عمل على تجريد جيش لقتــال الانجليز ، كان يتألف من أربعة آلاف مقاتل من المشاة وألف وخمسمائة من الفرسان ، وسارت قاصدة الى رشيد بقيادة طبوز أوغلى ، نائب محمد على (وهو جد حسين رشدى باشا أحد رؤساء الوزراء السابقين) ·

على أنه قبل أن يصل محمد عـلى الى القاهرة كان فريزر ، تحت الحاح ميسيت ، وبالمخـالفة لتعليمات حكومته ، قد أرسل حملة الى رشيد ، تحت الاعتقاد بأن جنود الحملة بالاسكندرية معرضون لخطر الموت جوعا اذا لم يحتل رشيد والرحمانية · ولكن الحملة على رشيد، وهي التى وقعت يوم ٣١ مارس ١٨٠٧ ، منيت بهزيمة منكرة ، قتل من الانجليز ١٧٠ قتيـلا وجرح ٢٥٠ ، وأسر المصريون ١٢٠ أسيرا ، وبادر على بك ، حاكـم رشيد ، بارسال الأسرى الى القــاهرة ، ومعهم رؤوس قتلاهم ، ليكون ذلك اعلانا بالنصر الذى حققته رشيد· وقد أراد فريزر أن يمحو أثر هذه الهزيمة فأرسل حملة ثانيــة الى رشـيد قامت فى ٣ ابريل بقيــادة الجنرال

ستيوارت Stewart وضربت الحصار على رشيد ، واحتلت الحماد التى تقع جنوبى رشيد بين النيل وبحيرة ادكو • واستمر الحصار والقتال حتى وصل المدد الذى أرسله محمد على ، ومنيت القوات الانجليزية بهزيمة كبيرة فى الحماد فى يوم ٢١ ابريل ، وبلغت خسارتها ٤١٦ قتيلا و ٤٠٠ أسير • واضطرت القوات البريطانية المحاصرة لرشيد أن ترفع عنها الحصار وتنسحب الى أبى قير ومنها الى الاسكندرية •

ومنذ ذلك الحين اعتصمت القوات الانجليزية بالاسكندرية وأخذت فى تحصينها ، ورأى فريزر أن يؤمن هذه القوات بقطع سد أبى قير لتغطى مياه بحيرة أبى قير على مريوط وتحيط المياه بالاسكندرية من جميع الجهات فكانت هذه هى المرة الثانية التى يقطع فيها هذا السد على يد الانجليز ، ليتلف ترعة الاسكندرية وبمنع وصول مياهها الى الثغر ، ويخرب بلادا كثيرة فى جهات مريوط • أما المرة الثالثة فكانت على يد على باشا الجزائرلى •

وعلى كل حال فان الموقف فى أوروبا لم يلبث أن ضغط على يد بريطانيا للجلاء عن الاسكندرية ، فأرسلت تستدعى جيشها من الاسكندرية ، وأمرت الجنرال فريزر بالاقلاع بجنوده الى صقلية ، ففوض الجنرال فريزر الجنرال شيربروك Scherbrook فى الاتفاق مع محمد على على الصلح ، وتقابلا فى دمنهور ، التى

وصل اليها محمد على على رأس جيش من ثلاثة آلاف من المشاة وألف من الفرسـان المجهزين بمدفعيـة قوية ٠ وهناك أبرم الطرفان معاهدة الصلح فى ١٤ سـبتمبر ١٨٠٧ ، وهى تقضى بجـلاء القـوات البريطانية عن الاسكندرية مقابل استرجاع الانجليز أسراهم وجرجاهم٠ وقد بادر محمد على بانفاذ أمره الى القاهرة لاحضـار الأسرى على الفور ، وأخذ فريزر يعد معدات الجـلاء وتسلم الأسرى ٠ وفى يـوم ١٩ سبتمبر ١٨٠٧ ، تم جلاء الانجليز عن الاسكندرية ، وبذلك طويت صحيفة الاحتلال الانجليزى الثانى ، وكانت مدته ستة أشهر ٠

وقد خدمت هذه الحملة علاقة الاسكندرية ببقيـة القطر ، التى كانت قد انقطعت خلال السنوات السبع السابقة ، بعد أن اعتبرها الباب العالى تابعة له تبعية مباشرة ٠ فقد تمكن محمـد عـلى من ضمها الى جامعة الوطن ، ودخلها محمد على بعد جلاء الانجليز فى يـوم مشهود أطلقت فيه مدافع القـلاع والأبراج ، وكانت هذه هى أول مرة تطأ فيها قدم محمد على الاسـكندرية فى يوم ٢٠ سبتمبر ١٨٠٧ ٠

وقد بادر القناصل والأعيان وكبار التجار والمشايخ والعلماء ورؤساء الجند بتقديم التحية له ، وقام الباشا بزيارة المدينة وتحصيناتها وقلاعها ومخازنهـا ، وكان أول ما استرعى انتباهه خلو الخزانة بالاسـكندرية ،

فأمر بفحص حسابات الجمارك وسجلات احتكارات الصودا وأصناف السوائل ، وتبين من هذا الفحص أن الأموال المحصلة منها والتي كان يجب أن تمتلىء خزانة الحكومة بالاسكندرية ، قد بددت . ولذلك أخذ من التجار الأوروبيين بالثغر سلفة قدرها عشرون ألف ريال تقوم جمارك الاسكندرية بسدادها لأصحابها من ايراداتها .

وقد ترتب على جلاء الانجليز عن الاسكندرية أن غادرها كثير من أولئك الذين اعتقدوا أنهم صاروا موضع كراهة عظيمة بسبب صداقتهم ومعاونتهم للانجليز . وقد لجأ بعض هؤلاء الى البريطانيين حتى يحملوهم على ظهر سفنهم معهم ، بينما هاجر عديدون من سكان الاسكندرية ، مسلمين ومسيحيين على السواء ، ومن بين هؤلاء الأخيرين أسر لبنانية كثيرة ذهبت الى الشام ، ونزح قسم كبير من فقراء الاسكندرية الى الصحراء ليعيشوا مع البدو فى خيامهم . ومن بين من هاجروا من الاسكندرية الشيخ محمد المسيرى ، والشوربجى ، ورئيس قضاة الاسكندرية سيدى قاسم غريانى . وأما الشيخ ابراهيم باشه ، زوج كريمة الشيخ محمد المسيرى وأحد الموقعين على تسليم الاسكندرية الى الانجليز ، فقد آثر أن يقبل قدمى محمد على يطلب منه الصفح ، على الهجرة من

الاسكندرية ، فعفا عنه الباشا ، وأمنه على حياته ، وخلع عليه فروة ثمينة ·

والمهم هو أنه بانضمام الاسكندرية الى الولاية ، انفصمت تلك الحلقة القديمة التى كانت تربط الاسكندرية بالقسطنطينية · فقد كانت تعد حتى ذلك الحين بمثابة المنفذ الذى يبسط منه الباب العالى نفوذه على مصر كلما تسنى له ذلك ، والبؤرة التى يدبر فيها ضباطه ورجاله مكائدهم ضد الباشوات العثمانيين أو البكوات المماليك اذا قوى شأن هؤلاء وأولئك ، لتقويض سلطانهم ، والقاعدة التى يرسل اليها السلطان أساطيله بقيادة القبطان باشا تحمل واليا جديدا يحل محل محمد على فى حكم البلاد وأمرا بابعاده الى باشوية أخرى · فكأن معنى انضمام الاسكندرية الى الولاية ودخولها فى نطاق باشوية القاهرة انعدام ذلك الاتصال المباشر بين مقر السلطنة وبين باشوية محمد على ، وتعذر على أعداء الباشا وضباط الباب العالى أن يجدوا فى مصر وكرا يحيكون منه دسائسهم ضد نفوذه وسلطانه · وكان من أثر ذلك أن اعتبر محمد على امتلاك الاسكندرية « فتحا » حقيقيا · وقد علق الشيخ الجبرتى على ذلك بقوله ان الباشا بجلاء الانجليز ، ودخول الاسكندرية فى حوزته ، قد « استقر واطمأن خاطره ، وخلص له الاقليم المصرى » ·

الاسكندرية فى عصر محمد على وخلفائه :

كان استيلاء محمد على على الاسكندرية نقطة تحول فى تاريخها ، وبداية بعث الحياة فى هذه المدينة العظيمة ، بعد أن اندثرت أهميتها قرونا عديدة ، وانتقلت الى ميناء رشيد • فقد أدرك منذ البداية أهمية هذه المدينة ، وعمل على الفور على النهوض بها ، ووضع أسس تنميتها حتى أصبحت ثانية مدن القطر بعد القاهرة •

وقد بدأ فى عام ١٨٠٧ / ١٨٠٨ بانشاء « ديوان ملكى الاسكندرية » ، الذى هو أساس مَا عرف فيما بعد باسم « محافظة الاسكندرية » • ولكن العمران فى المدينة كان يسير بطيئا ، ففى عام ١٨١٠ كانت المدينة ما تزال مدينة عربية الطابع ، وكان القليل من الأوروبيين فيها يشتغلون بالتجارة ، أما المواصلات التجارية الداخلية بين الاسكندرية وبقية مدن القطر، فكانت تجرى بطريق البحر من دمياط أو رشيد • وكان ذلك يسبب مشاق كثيرة لأهل المدينة والأجانب ، ولذلك لم يزدد عدد سكان الاسكندرية كثيرا عما كان عليه عند دخول محمد على اليها ، وهو ثمانية آلاف نسمة تقريبا •

وقد أدرك محمد على أن الاسكندرية لن يتسنى لها النهوض الحقيقى طالما ظلت المواصلات بينها وبين بقية

مدن القطر على هذا النحو من الصعوبة ، ولذلك عمل على انشاء ترعة للملاحة تسير فيها السفن المشحونة بالغلال وغيرها من منتجات البلاد الى الاسكندرية عن طريق فرع النيل الغربي ، دون أن تمر بميناء رشيد ، ومن هنا كلف أحد المهندسين الاتراك ، وهو شاكر أفندى ، بشق ترعة المحمودية ، مكان ترعة الاسكندرية القديمة ، التى كانت الاتربة والرمال قد طمرتها ، على أن يكون مدخل الترعة عند قرية العطف • وقد بدأت أعمال الحفر فى ٢١ ابريل ١٨١٧ ، واستكملها مهندس فرنسى يدعى كوست Coste حتى انتهى العمل فيها فى ديسمبر ١٨٢٠ • واحتفل بفتح فوهة الترعة ودخول مياه النيل الى الاسكندرية فى فبراير ١٨٢١ ، وسميت باسم « المحمودية » تيمنا باسم السلطان محمود الثانى العثمانى ، وأصبحت الترعة هى طريق المواصلات النيلية بين الاسكندرية وداخل البلاد •

وكان محمد على قد مهد لذلك باصلاح سد أبى قير القديم ، وسد فتحة بحيرة أبى قير بجسر من الأحجار ، لكى يقى ترعة المحمودية من طغيان مياه البحر اليها • ومنذ ذلك الحين أخذت بحيرة أبى قير تجف تدريجيا حتى صارت الآن أرضا زراعية •

وقد بلغ طول ترعة المحمودية ٢٥٢ ٨٠ مترا ، وقد جعل فى فوهتها فى البداية قناطر تمنع دخول

المراكب من النيـل اليهـا ، فكانت البضائع الآتيـة من القطر تنقل عند فوهتها الى مراكب أخـرى من مراكب المحمودية ، وعند وصولها الى الاسكندرية تنقل الى مراكب البحر المتوسـط . وفى سـنة ١٨٤٢ أمر محمد عـلى بازالة هـذه القناطر وعمـل هويسـات فى مدخلهـا ومخرجها ، أحدهما صغير عرضه أربعة أمتار للمراكب الصغيرة ، والآخر كبير سعته ثمانيـة أمتـار للمراكب الكبيرة ، وبذلك زالت الصعوبات الناتجـة من نقـل البضائع مرتين .

وقد بلغت نفقات حفر هذه الترعة ثلاثمائة ألف جنيه حسب تقدير كلوت بك . ولم يكن الغرض منهـا مجرد تيسير الملاحة بين الاسكندرية وبقية القطر ، أو حصول أهالى الثغر على كفايتهم من المياه فحسب ، بل كان الغرض أن تكون هذه المياه كافية لانشاء البساتين ورى الحقول والمزارع فى ضواحى الاسكندرية ، وعلى ضفاف الترعة . وبالفعل فعندما حفرت ترعة المحمودية كان عدد الأفدنة ذات الزراعة الصيفية أقل من أربعة آلاف فدان ، فزادت زيادة عظيمة حتى بلغت فى عام ١٨٤٩ ثلاثة أضعاف المسـاحة ، أى ١١٥٤٥ فدانا . وابتنى الأغنياء القصور وأنشئوا البساتين على ضفاف الترعة فى جهات كانت من قبل أرضا جرداء .

وقد اشترك في حفـر ترعة المحمـودية نحـو ٣١٣٫٠٠٠ من الفـلاحين ، جيء بهـم من مديريات

البحيرة ، والغربية ، والشرقية ، والدقهلية ، والمنوفية ، والقليوبية ، الجيزة • مات منهم عدد كبير دفنوا تحت أكداس التراب الذى كانوا يرفعونه من قاعها ، بسبب قلة الزاد المؤنة وسوء المعاملة ، حتى ليذكر شاهد عيان هو المسيو مانجان Mengin أنه مات اثنا عشر ألفا فى مدة عشرة أشهر فقط !

والمهم هو أن حفر هذه الترعة يعد البداية الحقيقية لنمو المدينة الحضارى العمرانى والاجتماعى • لقد أخذ عدد السكان فى المدينة يتضاعف بعد عام ١٨٢١ ، فقد ارتفع فى الفترة من ١٨٢١ الى ١٨٤٠ الى ٦٠٠٠٠ ألفا ، وفى الفترة من ١٨٤٠ الى ١٨٤٨ ارتفع الى ١٤٣٫٠٠٠ نسمة على أقل تقدير • وفى عام ١٨٧٤ وصل الى ٢٧٠٫٠٠٠ نسمة •

وفى نفس الوقت أخذ الباشا يهيىء الاسكندرية لتكون المرفأ الوحيد الذى تستطيع أساطيله اتخاذه مكمنا آمنا لها • فبعد موقعة نافارين البحرية (أكتوبر ١٨٢٧) رأى محمد على أن ينشىء أسطولا جديدا بأيد مصرية ، ومن هنا بدأت فكرة تأسيس ترسانة كبرى بالاسكندرية لبناء السفن الحربية ، واتخذ نواة لها الترسانة القديمة • وقد استعان محمد على لتحقيق هذا المشروع بمهندس فرنسى يدعى سيريزى Cerisy

وقد قدم الرسوم اللازمة لانفاذ المشروع الى محمد على فى ٩ يونية ١٨٢٩ ، وشرع من فوره فى اخراج المشروع الى حيز العمل ، وتم بناء الترسانة سنة ١٨٣١ بعد أن استدعى محمد على لبنائها عدة آلاف من الشبان والعمال من النجارين والحدادين والسباكين والميكانيكيين وغيرهم ، وصارت ترسانة الاسكندرية من أعظم المنشآت الحربية والبحرية ـ وأصبحت معهدا لتعليم الشبان المصريين بناء السفن وترميمها وما يلزمها من آلات ٠

وفى نفس الوقت بدأ فى توسيع ميناء الاسكندرية وتعميقها وانشاء الأرصفة الجديدة بها (١٨٢٨ ـ ١٨٣٣) واستحضر لذلك الكراكات من أوروبا حتى صارت السفن ترسو على الشاطىء بعد أن كانت ترسو بعيدا عنه ٠ كما أذن للسفن الأوروبية التجارية والحربية بالدخول فى الميناء القديم الغربى بعد أن كان غير مباح لها فى عهد المماليك أن ترسو الا فى الميناء الشرقى ٠ وكان من نتيجة ذلك اتساع الحركة التجارية فى هذا الميناء ٠ كذلك أنشأ رصيفا داخل الميناء لرسو السفن عليه ، وملأ المتخلف بين الأرصفة والشاطىء بالأحجار والأتربة ، فاتسع الشاطىء ، وأنشأ فى ذلك الفضاء ما تحتاج اليه الميناء من المخازن وأبنية الجمرك ومساكن الموظفين ٠

كذلك أنشأ محمد على فى الميناء حوضا لترميم

السفن مما لا تستغنى عنه الموانى الكبرى ، وقد تم انشاؤه في سنة ١٨٤٤ • كذلك أنشأ رصيفا للشحن في الميناء ، ومد سكة حديدية تصل مستودعات البضائع والغلال بالرصيف لتسهيل نقلها الى السفن •

ولارشاد السفن القادمة الى الميناء والخارجة منها ، أنشأ بشبه جزيرة التين فنارا يعد من أبدع الانشاءات، كما أنشأ مستشفى بحريا خاصا بالأسطول ، ومعسكرا بحريا لتعليم البحارة في الجهة الشمالية الشرقية من رأس التين •

كذلك أصلح محمد على قلاع الاسكندرية وأنشأ غيرها للدفاع عن البلاد ، واستدعى من فرنسا لذلك مهندسا فرنسيا هو « جاليس Galice » وقد بلغ عدد حصون الاسكندرية فى سنة ١٨٤٨ ، ٢٥ حصنا ، كان أكبرها قلعة قايتباى ، التى كان عدد مدافعها ١١٠ مدافع •

وقد شهد عصر محمد على نزوح الأجانب بكثرة الى مصر عامة ، والى الاسكندرية خاصة • ففى عام ١٨٠٠ لم يكن عدد الأجانب فى مصر كلها يتجاوز مائة نسمة ، ولكن هذا العدد ارتفع الى ٤٨٨٦ فى عام ١٨٣٣ ، ثم الى ٤٦ر١١٨ فى عام ١٨٩٧ • ويرجع السبب فى ذلك الى سياسة محمد على ازاء الأجانب ، فقد ألغى ما كان متبعا من اجراءات ازاء المسيحيين من قبل ، اذ كانوا

يمنعون من ركوب الخيل ، وارتداء الملابس ذات الألوان الخاصة بالمسلمين . وأذن للرهبان ببناء الأديرة ، كما أذن للكنائس بأن تدق نواقيسها ، ولرؤساء الطوائف باقامة القداس علنا . كما استخدم الكثيرين من الأجانب لتنفيذ مشروعاته العمرانية والعسكرية . ومن هنا تبدلت حال الأجانب فى مصر ، فتركوا حياة العزلة فى الأحياء المخصصة لهم ، وخرجوا من « الخانات » ليختلطوا بالأهالى .

وقد كان بعد حفر ترعة المحمودية أن تأسس بالاسكندرية عدد كبير من بيوت المال والأعمال التى تتولى تجارة الصادر والوارد ، من فرنسية ونمسوية وسويسرية ويونانية وغيرها . وكان هؤلاء الأجانب من الرعايا الانجليز النازحين من جزيرة مالطة . وقد مثلوا فى عام ١٨٣٣ أكثر من ٦٠ فى المائة من مجموع الأجانب بالاسكندرية (٣٠٠٠) ويليهم فى العدد التسكانيون ، ومعظمهم من اليهود (٥٠٠) واليونانيون (٤٠٠) والفرنسيون (٣٠٠) والنمسويون (٢٩٦) . ثم أعداد قليلة من أهل مملكة نابولى وسردينيا واسبانيا وسويسرا ، وكذلك الألمان والرومانيين وجزر البليار .

وقد كان اليونانيون أول من بكروا بالمجىء الى مصر منذ عام ١٨١١ ، وتلاهم الفرنسيون الذين كثر عددهم عقب انهيار امبراطورية نابليون بونابرت ، أى منذ

عام ١٨١٥ ، ثم الايطاليون ، حتى كانت اللغة الايطالية هى اللغــة الأجنبيــة الأكثر تداولا · وكان هــؤلاء الايطاليون يعرفون العربية ، كما كان عامة الأهالى فى الاسكندرية يتكلمون الايطالية · وفى ذلك يقول رفاعة الطهطاوى فى كتابه « تخليص الابريز » عند كلامه عن الاسكندرية ابان رحلته الى باريس ، ان أغلب السوقة بمدينة الاسكندرية يتكلم بشىء من اللغة الايطالية ·

وبشكل عام قام الأجانب فى الاسكندرية بنشاط من كل نوع ، وعلى رأسه النشاط التجـارى · وكان التجار الأوروبيون يقومون بجميع العمليات التجارية بين مصر وأوروبا ، وكذلك الملاحة فى ميناءالاسكندرية التى كانت فى يــد الأوروبيين وحــدهم · وقد أورد بورنج Bowring فى تقريره الى الحكومة الانجليزية فى مارس ١٨٣٩ قائمة بأسماءالتجار الأوروبيين المقيمين بالاسكندرية تضم ٧١ تاجرا ، وتضم بعض أسماء ليهود مرموقين كما تضم أســماء كانت لاتزال معــروفة فى الاسكندرية أو فى القاهرة الى عهد قريب ، مثل أفرينو Avierino اليونانى ولامبروزو Lumbroso التوسكانى وسكاكينى Sakakini الفرنسى وزيزينيا Zizinia اليونانى وزوغيب Zogheb التوسكانى · وفى هذا التقرير ذكر أن شطرا كبيرا جدا من تجارة مصر مركزه الاسكندرية ، فأغلب ما يصدر الى أوروبا مقصور على هذا الثغر ·

وقد كان لوجود الأجانب فى الاسكندرية بأعدادهم الكبيرة أثره فى امتداد العمران بالمدينة ، وفى تحديد ذلك الاتجـاه • ففى أول القـرن التاسـع عشر كانت المدينة تقتصر على حى الجمرك وحى المنشية تقريبا • وفى منتصف القرن كانت المدينة قد امتدت فى اتجاهين : نحو الشمال ، لتشمل حى رأس التين وحى الأنفـوشى الحاليين ، ونحو الجنوب الشرقى قلب المدينة التجارى الحالى حتى شارع صفية زغلول وطريق الحرية وامتداده حتى شارع سيدى المتولى فى الجنـوب • وكانت معظم المبانى والمنشآت التى أقيمت فى هذه المنطقة خاصـة بالأجانب • فقد سجل مولر **Charles Muller** فى خريطته التى رسمها للمدينة عام ١٨٥٥ ثلاث عشرة قنصلية ، وأعدادا أخرى من الفنادق والمطاعم والمقاهى والكنائس الأفرنجية والمستشفيات الأجنبية ، وهذه كلهـا كانت مركزة فى هذه المنطقة وحدها • ومنذ ذلك الوقت وهى قلب المدينة التجارى • ومن الثـابت أن معظم الأجانب الذين وفدوا على الاسكندرية خـلال عصر محمد عـلى كانوا يقيمون فى قلب المدينة حول ميدان المنشية الذى خطط فى عهده وشـيدت المبانى الأوروبيـة الطـراز حوله •

ويرجع امتداد المدينـة فى الاتجـاهين الشـمالى والجنوبى الشرقى الى منح محمد على الأوروبيين الأراضى على ضفتى ترعة المحمودية بعد حفرها ، فأقاموا عليها

المنازل تحيط بها المزارع والحدائق ، ولا سيما على الضفة الشمالية ابتداء من موضع قصر أنطونيادس الحالى فى الشرق حتى حي كرموز الحالى فى الغرب ٠

وفي عام ١٨٣٥ ، وبسبب انتشار الطاعون ، ألف لجنة قنصلية صحية برياسة القنصل الانجليزى كامبل Campbell للنظر في وسائل تحسين الصحة العامة بالاسكندرية ، وقد استطاعت اللجنة أن تقوم بأعمال مفيدة ، كهدم الأكواخ القذرة فى الأحياء الوطنية ، وردم البرك والمستنقعات ، ونقل مدبغة الجلود من وسط المدينة ، وفتح طريق متسع من الحى الأوروبى الى الجمرك ٠

كذلك أنشأ محمد على « لجنة تنظيم الاسكندرية » للنهوض بالمدينة ونظافتها وتوفير الشروط الصحية لها ٠ وقد قامت اللجنة بأعمال هامة ، فقد اهتمت بتسهيل الحركة فى الشوارع ، وتهوية المنازل، وملاحظة المبانى القائمة أو التى يراد اقامتها ٠ كما حصلت على نقل جميع الجبانات الى خارج أسوار الاسكندرية ، وكان لهذه اللجنة الفضل فى ادخال كثير من التحسينات على المدينة ٠

ومع أن عباس الأول ، الذى خلف محمد على (١٨٤٨ ـ ١٨٥٤) لم يكن من الحكام البنائين مثل محمد على ، الا أن اعتماده على انجلترا فى حماية

الاستقلال الداخلى لمصر كما قررته معاهدة لندن ١٨٤٠ / ١٨٤١ دعاه الى اسناد الخطوط الحديدية فى مصر الى شركة انجليزية ، فوقع معها عقدا لانشاء خط حديدى بين الاسكندرية والسويس ، نفذ منه فى عهده الجزء الواصل من الاسكندرية الى كفر الزيات (١٨٥٤) • وكان لانشاء هذا الخط أثر كبير فى عمران مدينة الاسكندرية ونموها وازدياد أهميتها •

وقد حظيت الاسكندرية في عهد خلفه محمد سعيد باشا (١٨٥٤ ــ ١٨٦٣) برعاية خاصة ، اذ كان يحب المدينة ، وكان له قصر بالقبارى يقيم فيه • وفى عهده تم انشاء الخط الحديدى بين الاسكندرية والقاهرة ، كما طهرت ترعة المحمودية تطهيرا شاملا حتى ليعده البعض حفرا جديدا لها • وفى الوقت نفسه تم وصل الاسكندرية بالقاهرة بخطوط التلغرافات الحديثة •

وسرعان ما جاء عهد اسماعيل (١٨٦٣ ــ ١٨٧٩) ليقفز بالاسكندرية قفزة واسعة من التطور بفضل سياسته التى كانت تريد أن تجعل من مصر قطعة من أوروبا • فقد ازداد عمران الاسكندرية نتيجة لنمو التجارة الداخلية والخارجية بالمدينة ، ونزوح كثير من الأجانب اليها ، وتأسيس كثير من الشركات الأجنبية ، وافتتاح فروع لشركات النقل والسفن والملاحة والمصانع ، وفروع لبعض المصارف الأجنبية • وقد

ازدادت نسبة النشاط التجارى فى الميناء الى ٩٤ فى المائة من الصادرات المصرية كلها فى الفترة من ١٨٦٣ الى ١٨٧٣ .

وكان من مظاهر العمران فى المدينة أن اختلطت بها شوارع وأحياء جديدة ، مثل ضاحية الرمل ، التى أنشأ بها اسماعيل قصر الرمل ، ووهب قطعا كثيرة من هذه الضاحية الى الأجانب ، فأقاموا عليها القصور الجميلة ، ومن هؤلاء الكونت زيزينيا ـ الذى ما تزال قطعة من الرمل تسمى باسمه حتى اليوم .

وكانت ضاحية الرمل هذه من قبل صحراء جرداء بها قرية صغيرة تسمى « الرملة » يسكنها عدد قليل من السكان ، وهى احدى قرى أربع كانت تتناثر بالمنطقة هى : الحضرة ، والرملة ، والسيوف ، والمندرة . وعندما أخذت الاسكندرية ، بحدودها القديمة ، تضيق بسكانها ، أخذت تتجه بامتدادها شرقا حيث الأراضى المتسعة الرخيصة . وقد كان الأجانب أكثر تقديرا من المصريين لقيمة هذه الأراضى ، فأخذوا فى شرائها . وكانت القطعة التى تتراوح مساحتها بين سبعة وعشرة أفدنة تباع بعشرين قرشا .

وفى وسط المدينة كان هناك ميدان محمد على ، مركز التجارة الأوروبية فى الاسكندرية حيث تنتهى أهم شوارعها ، وقد أقامت المدينة فى هذا الميدان تمثالا

بديعا من البرونز لمحمد على فى سنة ١٨٧٢ ، صنعة المثال الفرنسى « جاكمون » Jaquemont وكان قد عرض بمعرض باريس فى نفس العام ، ونصب على قاعدة بديعة من الرخام الايطالى . وبالاضافة الى ذلك كان الميدان محاطا بالنصب التذكارية الجميلة والفنادق الفخمة ، والمتاجر الغنية .

وفى نفس الوقت فان نمو المدينة كان قد صاحبه انشاء المرافق العامة كالمياه والنورالكهربائى والمجارى . ففى عام ١٨٦٥ منحت الحكومة شركة «ليبون وشركاه» امتياز انارة الاسكندرية وضواحيها بغاز الاستصباح ، ثم عدل هذا الامتياز بمنح الشركة حق الاضاءة بالكهرباء .

وتعتبر الاسكندرية من أسبق مدن القطر المصرى فى انشاء المجارى تحت الأرض . فقد أنشئت أولى عمليات المجارى بها فى عام ١٨٧٨ ، وأخذ المشروع فى التوسع مع تزايد السكان .

وفى عهد اسماعيل تم توصيل المياه العذبة من ترعة المحمودية ، وتم توزيعها بواسطة وابور مياه الاسكندرية . وكانت الشركة الأجنبية التى تأسست لهذا الغرض قد تأسست وأبرم العقد الأول معها فى عهد سعيد ، ثم تحرر العقد النهائى فى عهد اسماعيل .

ومن الشوارع التى خطها اسماعيل شارع ابراهيم الممتد من مدرسة السبع بنات الى ترعة المحمودية ، وشارع الجمرك ، وشارع المحمودية ، بالاضافة الى ستة شوارع أخرى ممتدة بين سكة باب شرقي والطريق الحربي الذى كان يحيط بالمدينة ٠ كما أوصل جهة الرمل بالمدينة بخط حديدى، وجعلها مصيف القطر المصرى ، وفتح شارعا عظيما يمتد من باب رشيد الى حدود الملاحة بزمام المندرة ، مارا بالسراى الخديوية بالرمل ، طوله من باب شرقي الى السراى ٤٠٠ متر وعرضه ١٢ مترا ، ومن السراى الى الملاحة ٤٠٠٠ وعرضه ثمانية أمتار ، ومد طريقا من الملاحة الى ترعة المحمودية ٠ كذلك أنشأ حديقة النزهة على ترعة المحمودية ، وجعلها متنزها هاما ، وبنى سراى الحقانية التى أنشئت بها المحكمة المختلطة ٠ وبلغ سكان المدينة فى عهده ٢١٢٫٠٠٠ نسمة ٠

وعندما خشى اسماعيل مزاحمة بور سعيد بعد انشائها للاسكندرية ، وأن تتحول اليها التجارة الخارجية بعد أن قارب مشروع قناة السويس على التمام ، عمل على توسيع ميناء الاسكندرية لتجتذب اليها السفن ٠ وكان أول ما بدأ به اقامة حوض عائم من الحديد لاصلاح السفن ، والحوض المبنى بالحجر من عهد محمد على الذى أصبح مع الزمن لا يفى باصلاح السفن كبيرة الحجم ٠ وقد جلب الحوض الجديد من

فرنسا فى سنة ١٨٦٨ • ثم أنشأ حاجز الأمواج الضخم الذى يقى الميناء طغيان الأمواج ، ويجعل السفن الراسية به فى مأمن من العواصف ، ولا يزال موجودا الى اليوم، وهو جسر من الدبش والأحجار الضخمة ممتد من طرف شبه جزيرة رأس التين الى جهة العجمى ، وفيه البوغاز لمرور السفن منه • وأنشأ بداخل الميناء رصيفا للشحن والتفريغ ، وأرصفة أخرى ممتدة فى داخل الميناء • وقد تكلفت هذه الانشاءات ثلاثة ملايين جنيه، وبدأ العمل بها فى ١٨٧١ وانتهى فى ١٨٧٩ • كذلك أنشأ عدة فنارات فى الاسكندرية ، أولها فنار العجمى سنة ١٨٧٣ وفنار حاجز الميناء سنة ١٨٧٦ ، وفنار القبارى سنة ١٨٧٧ •

وفى عام ١٨٦٣ افتتح اسماعيل الخط الحديدى من الاسكندرية الى موقع محطة بولكلى الحالى ، عن طريق جامع سيدى جابر ، وذلك بقطار يتكون من أربع عربات تجرها الخيول • ولم تلبث فى نفس العام أن استعملت قاطرة بخارية لجر العربات بدلا من الخيول •

فى ذلك الحين كان الأوروبيون قد أصبحوا جزءا من الحكومة فى المدينة ، وليسوا مجرد جزء من المجتمع الاسكندرى ، فقد اشتركوا فى الادارة ، وحظوا بنصيب من السلطة التنفيذية فى المدينة ، وقد أعيد تنظيم البوليس فى الاسكندرية فى عهد اسماعيل ، واستخدم

البوليس فى المدينة خمسين رجلا من الأوروبيين أغلبهم من السويسريين • كما أنشئت المسارح فى الاسكندرية، كمسرح زيزينيا •

وقد كان هذا هو الوضع فى الاسكندرية عندما قامت الثورة العرابية ضد الوصاية الأجنبية والحكم المطلق • وقد تأثرت بها الاسكندرية تأثرا كبيرا •

الاسكندرية والاحتلال البريطانى سنة ١٨٨٢ :

على الرغم من عناية محمد على وخلفائه بتحصين مدينة الاسكندرية لحمايتها من الغزو الأجنبى ، وعلى الرغم من أن تحصين الاسكندرية عند وقوع الغزو البريطانى فى يولية ١٨٨٢ كان أفضل من تحصينها عند قدوم الحملة الفرنسية بما لا يمكن مقارنته ، الا أن التقدم الذى طرأ على التسليح فى أوروبا فى ذلك الوقت جعل تحصين الاسكندرية غير واف بمتطلبات الدفاع عنها ضد أسطول أوروبى حديث •

فقد رأينا كيف عهد محمد على الى جاليس بك بتحصيين مدينة الاسكندرية حتى أصبح عدد حصونها فى عام ١٨٤٠ ، ستة عشر حصنا • وفى سنة ١٨٤٠ زاد عدد هذه الحصون حتى صارت ٢٥ حصنا • وفى عهد ابراهيم عمل على استكمال طوابى الاسكندرية واستحكاماتها ، وشحنها بالعسكر والأسلحة والآلات ،

وهو ما استمر في عهــد عباس الأول ، حيث أضاف الى حصون الاسكندرية قلعة مقابر اليهود وقلعــة أبي قير وقلعة العجمي ، مع انشاء مبان ملحقــة بتلك القــلاع للوازمها • وعندما تولى اسماعيل الحــكم عزز هــذه الحصون بمدافع أحدث ، فابتاع من انجلترا فيما بين ســنة ١٨٦٩ وســنة ١٨٧٣ مائتى مدفــع من طــراز أرمسترونج عيار ٧ بوصات ووزن ٧ أطنان ، وعيار ٨ بوصات ووزن ٩ أطنان ، وعيار ٩ بوصات ووزن ١٢طنا، وعيار ١٠ بوصات ووزن ١٨ طنا، وهي مدافع يجرى شحنها من الأمام ، كما ابتاع أربعة مدافع عيار ٤٠ رطلا من نفس الطراز يجرى تعميرها من الخلف • ونصب في حصون الاسكندرية الأربعة مدافع الأخيرة ، و ٤٥ مدفعا من المدافع الأولى •

على أن المشكلة تمثلت فى أن ساحل مدينةالاسكندرية لم يكن يصلح لاقامة حصون عليه تدفع عن المدينة شر القنابل الحديثة ، فقد كان سهلا منبسطا ليس به هضاب ولا جبال اللهم الا بعض التلال المصنوعة • وكان حصن أم قبيبة هو الحصن الوحيد المقام عــلى تل مرتفع عن الأرض ، ولكن كل المدافع فى الحصون كانت منصوبة فى العراء بدون أن يعلوها أية سواتر تقى جنودها الاصابة ، الأمر الذى كان يعرضها لنيران مدافع السفن التى هى أعلى منها • وفى الوقت نفســه كانت هــذه المــدافع ، فيما عــدا مدافع الأرمسترنج التى كانت

مزودة بسواتر عالية وسميكة وبها كوات مناسبة ، قطعا عتيقة ليست لها أية قيمة حربية ، فكان مرماها قصيرا وليس لمقذوفاتها القوة اللازمة لاختراق مدرعات الأسطول البريطاني ، حتى ليذكر أن سفينة القيادة البريطانية « الكساندرا Alexandra » أصيبت بستين قنبلة من هذا النوع ، فلم تسفر الا عن قتل جندى واحد وجرح ثلاثة !

والى جانب حصن أم قبيبة المقام على تل مرتفع ، كان يوجد حصن قايتباى الذى كان فى طبقته السفلى المسقوفة مدفعية مستورة بطبقته العليا ، ولكن جدرانه لم تكن من المتانة بحيث تستطيع مقاومة تأثير مدافع الأسطول ·

كذلك كان فى كل الحصون ــ بدون استثناء ــ مبان عديدة مرتفعة عن ستائرها ، مثل مستودعات القنابل ، والثكنات ، والمخازن · وكانت هذه المبانى المرتفعة بهذه الكيفية كأنها نصبت لتكون هدفا عجيبا لا تخطئه نيران مدافع الأسطول · وكانت مستودعات البارود بصفة خاصة غير مصونة الصيانة الكافية ·

وقد كانت الحصون التى كانت معرضة لمدافع الأسطول البريطانى فى سنة ١٨٨٢ هى أربعة عشر حصنا ، كان منها أربعة غير مجهزة بمدافع أرمسترونج،

وهى طوابى : صالح آغا (ولا تزال باقية الى اليوم ، ومعروفة باسم : طابية صالح ، وكانت تقوم باطلاق المدافع لتحية السفن الحربية القادمة الى الاسكندرية) . وبرج رقم ١٥ ، والقمرية ، والدخيلة ـ ولم تكن لها ـ بالتالى ـ أية فاعلية دفاعية . أما العشر الآخرى فكانت طوابى : السلسلة ، وكانت تشغل الرأس الداخل فى البحر الذى حولته البلدية الى متنزه ، وكان بها مدفعان أرمسترونج . وطابية قايتباى ، وبها ستة مدافع ، وطابية الاطة ، ولا تزال فى موضعها كما كانت الى الآن شرقى حمام الأنفوشى . والأطة كلمة تركية معناها : « الجزيرة » ، وهذه الطابية الآن تعرف عند الناس باسم : طابية القضا . وكان بها أربعة مدافع ، وطابية الاسبتالية ، وتقع الى الشرق من طابية الأطة ، وكان بها مدفعان فقط . وطابية رأس التين ، وبها خمسة مدافع . والفنار ، وبها ست مدافع ، وطابية أم قبيبة (أو أم كبيبة) ، وكان بها مدفعان . وطابية المكس وهى قائمة الى الآن قرب باب العرب ، وبها خمسة مدافع . وطابية العجمى ، وكان بها تسعة مدافع . وطابية المرابط ، فى جزيرة العجمى أو المرابط ، وبها ثلاثة مدافع .

وقد جرت محاولة لنقل اثنى عشر مدفعا من طراز أرمسترونج الى طوابى المكس ، والدخيلة ، والمرابط ،

ولكن كل هذه المدافع لم يمكن تركيبها في هذه الحصون قبل ضرب الأسطول الانجليزى ٠

وقد كانت حامية الحصون مؤلفة من آلاى مدفعية سواحل مجموع قوته ١٧٦٢ ضابطا وصف ضابط وجنديا ، وهذا الآلاى هو الذى كان عليه الدفاع عن الحصون رغم ما بها من عيوب ونقص ٠ وكان يقوده أمير الآلاى اسماعيل بك صبرى ووكيله القائمقام محمد بك نسيم (وهو والد توفيق نسيم باشا الذى أصبح رئيسا لوزراء مصر بعد ذلك ٠ وبه ثلاث أرط يرأس الأولى البكباشى عبد العال أبو العلا ، والثانية سيف النصر (والد حمدى سيف النصر الوزير الوفدى فيما بعد) والثالثة يقودها البكباشى محمد أفندى شرمى ٠

وعندما تطورت أحداث الثورة العرابية ووصل الى الاسكندرية فى مايو ١٨٨٢ كل من الأسطول الانجليزى والأسطول الفرنسى للتدخل عند اللزوم ، أخذ الأجانب فى مصر يهاجرون الى الاسكندرية ليكونوا تحت رعاية الأسطولين وعلى مقربة منهما ، وأخذوا يستعدون للقتال ضد الأهالى ٠ وعقد قناصل الدول فى الاسكندرية عدة اجتماعات سرية تشاوروا فيها فى تأليف قوة دفاع أوروبية فى المدينة ضد الأهالى ٠ ولمح الأهالى هذه الاستعدادات وشراء الأوروبيين الأسلحة ، فتوجسوا

شرا ، وازداد شعور السخط على الدول الأوروبية ورعاياها ، واشتدت عوامل الفتنة وهياج الخواطر . وفي تلك الظروف وقعت بين الأجانب والشعب الاسكندري ما عرف باسم « مذبحة الاسكندرية » في ١١ يونية ١٨٨٢ ، التي قتل فيها ٣٨ أجنبيا و ١١ مصريا ، وجرح ٣٦ أجنبيا و ٣٣ وطنيا .

ومنذ أول يولية أخذ الأسطول الانجليزي يتحرش بحكومة الثورة . فعندما قرر مجلس الوزراء طلب الترخيص من السلطان في تعمير الحصون التي كان أوقف العمل فيها بأمر شاهاني ، طلب مجلس الأميرالية الانجليزية من الأميرال سيمور Seymour قائد الأسطول الانجليزي منع كل محاولة لغلق البوغاز الموصل للميناء ، وانذار القائد المصري اذا باشر اعادة العمل في الحصون أو نصب فيها مدافع جديدة ! واذا لم يوقف العمل في الحال ، فان على الأسطول الانجليزي تدمير الحصون واسكات مدافعها اذا أطلقت النيران ، بعد اعطاء الأهالي والسفن التجارية والحربية الأجنبية المهلة الكافية . وفي يوم ٣ يولية عندما نصب مدفعان في قلعة قايتباي ، أراد الأميرال سيمور توجيه الانذار الى القائد المصري ، ولكن قنصل بريطانيا طلب تأجيله حتى يجد الأوروبيون فرصة الهجرة الى القاهرة ، في الوقت الذي أرسل عرابي الى القائد الانجليزي يبلغه أنه ليست هناك أية نية لسد مدخل البوغاز . وقد

اعترضت الحكومة الفرنسية على تصرف الحكومة الانجليزية ، وقررت أنها لا تستطيع أن تعطى تعليمات لقائد أسطولها بأن يمنع بالقوة بناء الحصون أو نصب المدافع فى ميناء الاسكندرية ، لأن مثل هذا العمل يعد عملا عدائيا هجوميا ضد مصر • وأرسلت الى قائد الأسطول الفرنسى تعليمات بألا ينضم الى الأميرال سيمور اذا وجه هذا انذارا نهائيا للمصريين يختص بتحصيناتهم ، وأن ينسحب اذا أصر الأميرال سيمور على اطلاق النار • وفى نفس الوقت أرسل السلطان العثمانى برقية الى الخديو تحمله المسئولية اذا لم يوقف أعمال تعزيز الحصون لأن أعمالا كهذه تدعو الأسطول الانجليزى لضرب الاسكندرية • وقد أكد القائد المصرى للأميرال سيمور فى يوم ٥ يولية أنه لم يوضع أى مدفع جديد فى الحصون ، ولم يتم عمل ما •

وفى تلك الظروف وجه قناصل الدول الكبرى بالاسكندرية مذكرة الى الأميرال سيمور تبلغه بأن وفرة المصالح الأجنبية فىالاسكندرية ، وما لهم من أملاك فيها ، تضطرهم الى الاستعلام منه عما اذا كان ينوى ضرب الاسكندرية ؟ وفى هذه الحالة من يقوم بترحيل الرعايا الأوروبيين ؟ وحذروا من أن ضرب الاسكندرية سوف يترتب عليه أخطار جسيمة على المسيحيين والأهالى معا ، وتدمير مالا يعد ولا يحصى من أملاك الأوروبيين•

وقد رد الأميرال سيمور بأنه اذا قرر ضرب الاسكندرية فان أعماله الحربية سوف توجه الى الحصون، ولن يكون هناك خوف من وقوع دمار للأملاك الخصوصية التي يخشون عليها . وفي يوم ٦ يولية اتهم سيمور اللواء طلبة عصمت ، القائد الحربي للاسكندرية ، بتركيب مدفعين ومحاولة اقامة أعمال أخرى على شاطيء البحر ! وقد نفى اللواء طلبة عصمت ذلك ، وأضاف الى ذلك تكذيبه لأخبار سد البوغاز . على أن الأميرال سيمور لم يأبه لكل هذه التكذيبات من السلطات المصرية عن اتخاذها تدابير حربية ، وأبلغ الأميرالية الانجليزية يوم ٩ يولية بأنه سوف يخطر قناصل الدول الأجنبية في الاسكندرية في اليوم التالي بأنه سوف يشرع في الضرب بعد ٢٤ ساعة اذا لم تسلم له الحصون القائمة على البوغاز والتي تشرف على مدخل الميناء ! وفي يوم ١٠ يولية خفف هذه الشروط الى تسليم البطاريات المنصوبة بشبه جزيرة رأس التين وعلى ساحل ميناء الاسكندرية الجنوبي ، وتشمل طابية قايتباى ، ورأس التين ، والاسبتالية ، وطابية صالح ، وطوابى أم قبيبة ، والقمرية ، والبرج نمرة ١٥ ، والمكس ، والدخيلة ، والعجمي ، وذلك لتجريدها من السلاح . وقد ردت الحكومة المصرية على هذا الانذار بالرفض ، لأن التسليم به يعرض مصر للاحتلال دون مقاومة . وبذلك أصبح ضرب الاسكندرية بمدافع الأسطول البريطاني أمرا محتوما .

في ذلك الحين كانت الاسكندرية تتعرض لهجرة واسعة من الأجانب المقيمين بها ، لتأمين أنفسهم اذا نشبت الحرب ، خصوصا بعد أن تأزم الموقف بين الوطنيين والأجانب في مذبحة الاسكندرية • ولذلك أخذ الأوروبيون فى الرحيل عن الاسكندرية منذ اليوم التالى للمذبحة ، حتى بلغ عدد الراحلين منهم يوم ١٢ يونية ١٨٨٢ أكثر من عشرة آلاف مهاجر ، نزلوا الى البحر متفرقين فى البواخر والسفن الشراعية ، ثم كثرت جموع المهاجرين يحملون أموالهم وأمتعتهم فى الأيام التالية حتى بلغ عدد الراحلين يوم ١٨ يونية ٣٢٫٠٠٠ مهاجر • وعندما أيقن القناصل بأن الحرب لابد واقعة ، نصحوا رعاياهم بالرحيل عن المدينة ، حتى بلغ عددهم قبل يوم الضرب نحو ستين ألفا ، وهو ما يمثل ٩٩ فى المائة من عددهم الأصلى •

وفى الثلاثاء ١١ يولية ١٨٨٢ أعطى الأميرال سيمور اشارة الضرب ، الذى استمر من الساعة ٧ صباحا الى السادسة مساء مع راحتين قصيرتين، وترتب عليه اسكات حصون الفنار ، ورأس التين ، والاسبتالية، والمكس ، وأم قبيبة ، والدخيلة ، وقايتباى • وقد أصيبت بأضرار بالغة فيما عدا حصنى السلسلة والعجمى، ولم يصب حصن صالح أغا الا بأضرار يسيرة • كما أصيبت مدينة الاسكندرية ذاتها بأضرار بالغة ، فقد كانت قنابل الأسطول الضخمة تنهال على المدينة وتخترق

أحياءها فى كل جهة ، وتدمر المنازل وتشعل النيران فى كل مكان . وقد قتل من المصريين ٧٠٠ وجرح ٥٠٠ ، واستشهد من رجال الطوابى وحدهم مائة رجل بعد أن دافعوا عن مواقعهم دفاعا مجيدا رغم انكشاف مواقعهم وضعف تسليحهم ، حيث كانت المدافع القديمة لا تصل الى السفن الانجليزية ، ومدافع أرمسترونج الحديثة تخلو من المساطر اللازمة لضبط المسافات واحكام الاصابة .

وقد تفانى الأهالى فى الدفاع عن المدينة ، رغم أن الحرب كانت حرب مدافع وحصون وبوارج ، فكان الرجال والنساء تحت مطر القنابل ونيران المدافع ينقلون الذخائر الى الطوبجية فى الحصون ، ويتغنون بلعن الأميرال سيمور ومن أرسله . ويقول محمود باشا فهمى فى كتابه : البحر الزاخر : « ورأيت فى ذلك الوقت بعينى ما حصل من غيرة الأهالى بجهة رأس التين وأم كبيبة وطوابى باب العرب ، وهمتهم فى مساعدة عساكر الطوبجية ، من جلبهم المهمات والذخائر وخراطيش البارود والمقذوفات ، وهم ونساؤهم وأولادهم وبناتهم ، والبعض من الأهالى صار يعمر المدافع ويضربها على الأسطول ، على الرغم من عدم جدوى الضرب ، حيث لم يصب من الانجليز الا ٦ قتلى و ٢٧ جرحى . وقد اعترف الأميرال سيمور بصلابة دفاع المصريين فى تقريره الى الأميرالية الانجليزية فقال :

« لقد قاتل المصريون قتال الأبطال بأقدام ثابتة ، وكانوا يردون على النيران الشديدة التى كانت تصبها على حصونهم مدافعنا الضخمة ، الى أن قتل عـدد كبير منهم » .

وقد أيقن العرابيون فى يوم ١٢ يولية أن الانجليز احتلوا الاسكندرية بعد أن دكوا حصـونها ، فاسـتقر عزمهم على الانسحاب من المدينة ليستعدوا للمقاومة فى الداخل ، وقرروا تعطيل احتلال المدينـة واستقرارهم فيها عن طريق اضرام النار فى المدينة . فأمر سليمان داود ، قائد الآلاى السادس ، جنوده باشـعال النار فى المدينة فى نحو الساعة الثانية بعد الظهر ، وأخذ الحريق يمتد حتى صارت الاسكندرية شعلة من النار فى مساء ذلك اليوم ، واستمرت النار تضطرم فيها الى اليـوم التالى ، واشترك فى الحريق بعض الأوروبيين ، وبخاصة من الأروام المالطيين الذين بقوا فى المدينة بعد هجرة معظمهم ، وكانوا يقصدون من ذلك المطالبة بالتعويضات بعد انتهاء الحرب . كما اشتركوا أيضا فى النهب . وكان هذا الحريق عـلى غير رأى عرابى باشـا وزير الحربية والوزراء ، فانفرد باحداثه سليمان داود الذى تحمل مسئوليته .

على أن الهجرة من المدينة كانت قد بدأت فور تحقق الأهلين يوم الضرب بفوز الأسطول الانجليزى ، وتأكدوا

من قرب نزول الانجليز الى المدينة • فأخذوا يهاجرون منها الى داخل البلاد فى مساء يوم ١١ يولية ، وتدفقوا على محطة السكة الحديد لركوب القطارات التى أعدت لهم مجانا ، وأخذت تنقلهم الى المدن الواقعة على الخط الحديدى • وفى اليوم التالى حث سليمان داود الأهالى على الرحيل عن المدينة على الفور تمهيدا لاضرام النار فيها ، وأوعز الى جنوده بنهب ما تصل اليه أيديهم قبل الانسحاب • فاجتمعت أهوال الحريق مع فظائع النهب على جعل هذا اليــوم أســوأ الأيام فى تاريخ المدينة ، وهرب منهــا فى ذلك اليــوم العصيب ١٥٠ ألفا وهم يندفعون خارجها فى جنون •

وسرعان ما احتــل الانجليز الاســكندرية ، وقام جنودهم باطفاء الحرائق ومطاردة من يحرقون المبانى وينهبونها • وأخذوا فى اقرار النظام فى المدينة عن طريق بث الحراس والخفراء فى أنحائهــا لمنع النهب • وكانت المدينة قد خلت من سكانها تقريبا بعد أن هاجروا منها • وأذن الانجليز للسكان بفتح محلاتهم ومخازنهم، وعادت شركة الغاز الى عملها ، وأمكنها فى عشرة أيام أن تســتأنف انارة شــوارع المدينــة وطرقاتها بغاز الاســتصباح ، وعادت أعلام القنصــليات تخفق فوق مراكزها قبل انقضاء شهر يولية ، وأخذت بعض المحال التجارية ، التى نجت من الحــريق ، فى فتح أبوابهــا واستئناف عملها • وبذلت قوات البوليس جهدا كبيرا

في حمل جثث القتلى من الشوارع والأزقة ، وازالة الأنقاض من الطرق التى تهدمت منازلها ، وهدم الأماكن المتداعية للسقوط ، وأقيمت بعض المبانى الخشبية على جوانب ميدان محمد على (المنشية) للمبيت بها أو اتخاذها دكاكين للتجارة أو مطاعم .

ومع استقرار الاحتلال الانجليزى فى مصر ، أخذ الاستقرار يعود مرة أخرى الى الاسكندرية ، كما أخذ النشاط التجارى يدب فيها من جديد ، وفى ٥ يناير ١٨٩٠ أنشىء مجلس بلدى للمدينة بمرسوم ، وكان يتكون من أعضاء مصريين وأجانب، وكانت اختصاصاته شبيهة باختصاصات لجنة التنظيم التى كونها محمد على بعد دخوله الاسكندرية . وكان لهذا المجلس الفضل فى تخطيط الأجزاء الحديثة من مدينة الاسكندرية ، لا سيما تلك التى عمرت خلال القرن الحالى .

الاسكندرية في عهد الاحتلال البريطاني :

كان فى عهد الاحتلال البريطانى أن ازداد الطابع الأوروبى لمدينة الاسكندرية الى درجة ميزتها عن بقية مدن القطر ، فقد عاد الأوروبيون الى المدينة بعد أن هاجروا منها ، وأخذت أعدادهم تتزايد حتى بلغت فى تعداد ١٨٩٧ أكثر من ٤٦ ألف نسمة ، أى ما يعادل ١٤٫٥ فى المائة من جملة سكان المدينة .

وكان اليونانيون أكثر الأجانب عددا ، حيث بلغ ١٨٢ر١٥ نسمة ، يليهم الايطاليون (٧٤٣ر١١ نسمة) ثم الانجليز (٨٣٠١) ، والفرنسيون (٥٢٢١) والنمساويون (٣١٩٧) . وكان هؤلاء جميعا يكونون ٦ر٩٤ في المائة من جملة الأجانب في المدينة .

وفي خلال الربع الأول من القرن العشرين واصل الأجانب تزايدهم في الاسكندرية ، فبلغ عددهم في عام ١٩١٧ ضعف هذا العدد قبل عشرين عاما، أى ٧٠٥ر٨٤ نسمة - وفي عام ١٩٢٧ بلغ عددهم ٦٠٥ر٩٩ ، وتركز النشاط الاقتصادى في أيديهم مع تدفق رءوس الأموال الأجنبية ، ووجود الامتيازات الأجنبية .

ويلاحظ فيما يتعلق بمناطق تركز الأجانب في المدينة أن ذلك التركيز حدث على طول الواجهة البحرية للمدينة من ميدان المنشية غربا الى منطقة بولكلي شرقا، وكانت أعداد الأجانب تزداد باضطراد نحو الشرق ، بينما كانت تتناقص في الغرب ، كما يشير الى ذلك تعداد سنتي ١٨٩٧ و ١٩٤٧ .

وكانت المجتمعات الأوروبية في الاسكندرية منظمة وفعالة ، ولكل جالية أوروبية أعيادها القومية ، وكنيستها أو معبدها ، ورجال الدين ، ومدارسها ، ومستشفياتها ، ومدافنها . كما كان لكل جالية حفلاتها المتميزة الخاصة بالزواج وغيره .

وكانت الجـالية اليونانيـة هى أكبر الجاليـات الأجنبية بالاسكندرية ، وحسب تعداد عام ١٩٤٧ كانت نسبتهم فى المدينة تبلغ حـوالى نصف عـدد الأجانب ، وكانـوا يشـعرون بأنهـم فى بلادهم ، فهى مدينـة الاسـكندر ، وقد بدأت العائلات اليونانية تستقر فى الاسكندرية فى عهد محمد علي ، ومنذ حوالى عام ١٨٣٠ أصبح اليونانيـون يكونون جالية لها نظامهـا التعليمى ونشاطها الخاص بالخـدمات والمشروعات ٠ وعنـدما حصلت اليونان على استقلالها من الباب العالى فى أوائل الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ، وضعت الجاليـة اليونانية نفسها تحت حماية الدولة الوليدة ، وصـار قناصلها العامون الرؤساء الفخريون لتلك الجالية ٠

وفي مدى قرن من الزمان تضـاعفت المؤسسـات اليونانية المالية بالمدينة ، مثل Tozziza ، Cozzika ، Benachi ، Salvago ٠ وزاد نشاطهم الثقافى والاعلامى حتى انه فى الفترة ما بين عامى ١٨٦٢ و ١٩٧٢أصدر يونانيـو الاسـكندرية وحـدهم ٢٥٣ جريدة ومجلة ، أغلبها باللغة اليونانية ، وبعضها بلغات مختلفة ، منها العربية ، مثل «المخبر المصرى» عام ١٨٨٧ ، و «المنارة» عام ١٨٨٩ ، و « النـور التـوفيقى » عام ١٨٩٢ ، والبهلول ، والنـور ، وأبـو الهـول فى عام ١٩٠٣ ، و « اليونانى المتمصر » بالعربيـة واليونانيـة فى عام

١٩٣٢ ، والراعى الصالح بالعربية ١٩٤٠ ، مما يشير الى أن اليونانيين اعتبروا أنفسهم مصريين ·

وفي نفس فترة المائة عام الماضية أنتج يونانيو القطر المصرى ما يقرب من خمسة آلاف وخمسمائة كتاب وكتيب ، وقدم الكثير من يونانيي الاسكندرية دراسات تتعلق بمصر عامة والاسكندرية خاصة فى التاريخ والأدب واللغة · بل أخرجت مطابع الاسكندرية كتبا ليونانيين تتعلق بقضايا مصرية ، ومعجما فى اللغتين اليونانية والعربية طبع عام ١٨٩٨ ، وترجمة للقرآن الكريم فى ثلاث طبعات أخرجت الاسكندرية واحدة منها فى عام ١٨٧٩ ·

ويلى اليونانيون فى الأهمية فى الاسكندرية الايطاليون ، الذى كانوا يكونون جالية كبيرة يقدر عددها فى أوائل الثلاثينات من القرن الحالى بـ ٢٧ ألفا · وقد وفدوا الى مصر فى حركات هجرة فردية قبل توحيد ايطاليا فى عام ١٨٧٠ ، واستمرت هذه الهجرة فردية دون مساعدة من المؤسسات الاقتصادية والمالية والصناعية فى ايطاليا · وكانت لهم مجموعة من المدارس أهمها مدرسة رأس التين الحالية ، وما أصبح كلية الزراعة بجامعة الاسكندرية الحالية · كما كان لهم مستشفاهم بالمدينة الذى كان يسمى مستشفى بنيتو موسولينى بالحضرة · كما كانت لهم صحيفتهم Il Messagero Egiziano

ومؤسساتهم الاقتصادية مثل Banco di Rama
والبنك التجارى ، أو الغرفة التجارية الايطالية .

ويلى الفرنسيون الايطاليين فى الأهمية فى الاسكندرية . وتكمن أهميتهم في مؤسساتهم التعليمية التي كانت كثيرة ومتعددة الدرجات . ففى أوائل الثلاثينيات من هذا القرن كانت المعاهدة الفرنسية تضم ١١٫٠٢١ طالبا ، منهم ٥٦١ فرنسيا . وكان يقوم بذلك النشاط ثلاثون مؤسسة فرنسية بالاسكندرية، منها البعثة العلمانية Mission Laique التى كانت تمتلك وتدير Le Lycée d'Alexandrie _ الفرير Frère Des Ecoles Chrétiennes التى كانت تمتلك كلية سان مارك ، وكلية سانت كاترين فى محرم بك وباكوس .

أما البريطانيون ، فعلى الرغم من أن معظم أعضاء الجالية البريطانية بالمدينة كانوا من أهل مالطة ، الا أن المؤثرات الانجليزية فى مجتمع الاسكندرية كانت واضحة ، فكانت لهم مدارسهم ، ومستشفاهم ، ونشاطهم الخيرى والانساني، ومؤسساتهم الاجتماعية والتجارية. فقد أسسوا كلية فيكتوريا فى الأزاريطة عام ١٩٠١ ، على نمط المدارس الانجليزية Public schools لجميع الجنسيات ، ثم نقلت الى مقرها الحالى فى سنة ١٩٠٩ ، ومدرسة St. Androw's فى سنة ١٨٥٩ ، التى استقر

المطاف بها فى حى السلسلة فى عام ١٩٠٠ . وكانت لهم مدرسة للبنات Scottich School ثم الـ British Boy's فى عام ١٩٢٨ . كذلك كان للانجليز مؤسساتهم الصحية والاجتماعية والثقافية والرياضية ، مثل المستشفى الانجليزى Anglo-Swiss ونادى الكتاب British Book Club ونادى سبورتنج Sporting ، ونادى الاتحاد Union Culub . كذلك تأسس نادى اليخت British Boat Club سنة ١٩١٩ . كما كونوا فرقا للكشافة فى عام ١٩١٢ وآخرى للمرشدات فى عام ١٩٢١ .

وفى عام ١٨٩٦ تأسست الغرفة التجارية الانجليزية بالاسكندرية ، التى كانت كل من السلطات المصرية والبريطانية تعمل لها كل حساب ، على اعتبار أن أعضاءها يعبرون عن الرأى العام البريطانى فى مصر . وحتى عام ١٩٣٠ كان رئيس تلك الغرفة بالاسكندرية يرأس أيضا الغرفة التجارية الانجليزية فى مصر . والى الانجليز فى الاسكندرية يرجع الفضل فى تأسيس جمعية الرفق بالحيوان Society for the Prevention of Cruelty to Animals .

والى جانب هذه الجنسيات فى الاسكندرية وجدت الجالية اليهودية التى كانت تتكون من جنسيات مختلفة . وقد وفد اليهود الى الاسكندرية من قبل مجىء الحملة الفرنسية ومحمد على الى مصر . فقد اجتذبت

الاسكندرية اليها يهود رشيد وادكو فى عام ١٧٠٠ ، حيث إستقروا الى الشرق من المدينة • وفى منتصف القرن ١٨ اجتذبت الاسكندرية يهود رشيد ودمياط والقاهرة • وفى عهد محمد على زاد عدد اليهود ، وفى سنة ١٨٥٠ تمكنت الجالية اليهودية من اتمام معبدها بالاسكندرية Eliahou Hannabi • وقد استطاعوا تنظيم أنفسهم بالمساعدات الخيرية الأوروبية ، وأنشأوا مختلف المؤسسات التعليمية والصحية والرياضية والاجتماعية بالمدينة • وعند بداية الحرب العالمية الأولى وفد على الاسكندرية أكثر من عشرة آلاف من يهود فلسطين ، وكان من بينهم نسبة كبيرة من الروس • وقد أسس اليهود فى مصر جريدة « الليبرتيه La Liberté باللغة الفرنسية ، وشعارها حماية مصالح مصر ، وكانت تدافع عن سعد زغلول والوفد • كما اشتغلوا بالحركة الصهيونية والحركة الشيوعية •

وقد عمل الأوروبيون فى الاسكندرية فى جميع الأعمال تقريبا ، ومارسوا كل الحرف • وقد عمل اليونانيون خاصة بالبقالة ، فكان البقال اليونانى هو أول أوروبى يراه الانسان فى الاسكندرية ــ بل وفى كل مكان فى مصر • كما عمل الايطاليون فى الاسكندرية كصانعى أثاث، وصانعى أقفال ، وفى مجال البناء ، كما عملوا أطباء ومحامين • وقد نافسوا بأيديهم وعقولهم

المصريين ، وكانوا ـ مثل اليونانيين ـ يتكلمون اللغة العربية كأهلها ·

وقد ترك الأوروبيون بصماتهم على مظاهر الحياة في الاسكندرية وفي مبانيها وحدائقها وشواطئها · فالانجليز في ضاحية الرمل بنوا لأنفسهم منازل خاصة على الطراز الانجليزي Cottages ، والايطاليون بنوا منازلهم بشرفات Pergolas على الطراز الفلورنسي ، وشيد اليونانيون المدارس والعمائر على الطراز الأثيني · وانعكس الطابع الأجنبي على الحي التجاري ، مثل شارع شريف ، حيث كانت ترفرف أعلام الدول أيام الآحاد والعطلات على كل باب وشرفة وشارع ، وكانت المحلات متعددة الجنسيات ، فهذا بقال يوناني أو من نابلي ، وبجواره بائع جبن من الدنمارك ، والآخر بلغاري يصنع الزبادي Yoghurt ، وبجواره تركي يبيع السجاد ! ويماثل شارع شريف في ذلك تماما شارعا فؤاد وسعد زغلول · وفي الوقت نفسه كانت شواطيء الاسكندرية ـ وما تزال ـ تحمل أسماء أوروبية ، مثل كامب شيزار ، وسبورتنج ، وستانلي ، وجليمونوبولو، وزيزينيا وكانت بورصة القطن والأوراق المالية في المدينة تحفل بالنشاط المالي الذي كان له أثره على مجتمع الاسكندرية ·

وعلى طول فترة الاحتلال البريطاني كانت الاسكندرية قاعدة من قواعد الأسطول البريطاني كلما ظهرت أزمة عالمية تهدد بالحرب ، وقد لعبت دورا هاما في الحرب العالمية الأولى بعد أن اتخذتها انجلترا قاعدة لأسطولها في البحر المتوسط • وعندما قامت الحرب العالمية الثانية أصبحت الاسكندرية أكبر قواعد الأسطول البريطاني ، ومركزا للعمليات الحربية في الصحراء الغربية ضد الطليان وقوات المحور • واستخدم الحلفاء قطاراتها ، كما صارت طرقها الى مرسى مطروح والقاهرة من أهم الخطوط الحربية بالنسبة لانجلترا •

وكان من الطبيعى أن تدفع الاسكندرية ثمن هذا الدور على يد المحور ، فتعرضت لغارات الألمان رغم اعلان الحكومة المصرية موقف الحياد ، وتعرضت الاسكندرية لكثير من الدمار خلال هذه الغارات ، ثم جاء الخطر الأكبر على يد روميل ، الذى لولا انكسار قواته أمام استحكامات العلمين عند الكيلو ١٢٨ غرب الاسكندرية ــ لدخلت الاسكندرية وألحقت بها من الدمار ما يلحق المدن التى تتعرض للغزو •

الاسكندرية فى عصر الاستقلال الوطنى :

مر الاستقلال الوطني في مصر بثلاث مراحل : الأولى ، مرحلة الاستقلال الناقص بتصريح ٢٨ فبراير

١٩٢٢ من جانب بريطانيا . وقد أرسى الحكم الدستورى وأقام حكومات دستورية مسئولة أمام البرلمان. ثم مرحلة انهاء الاحتلال البريطاني وتحول جيش الاحتلال الى جيش حليف بمعاهدة ١٩٣٦ . والمرحلة الثالثة هى مرحلة ثورة يوليو ، وفيها وقعت معاهدة الجلاء مع بريطانيا فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ ، التى سقطت تلقائيا بالعدوان الثلاثى على مصر فى ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦ .

وفى خلال هذه المراحل الثلاث شهدت الاسكندرية أحداثا وطنية وقومية عظيمة . فقد شهدت انشاء جامعة الدل العربية فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤ بعد اجتماع وفود الدول العربية بمبنى ادارة جامعة الاسكندرية ، وصدرت الوثيقة الأولى لجامعة الدل العربية فى هذا الشأن ، وهى التى عرفت باسم « بروتوكول » الاسكندرية .

كذلك شهدت رحيل الملك فاروق فى مصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، بمثل ما شهدت دخول أول ملك ، وهو محمد على فى يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٨٠٧ . فعلى الرغم من أن الملك فاروق كان موجودا بقصر المنتزه ، وكانت الوزارة مجتمعة بمقرها الصيفى فى بولكلى عند قيام الثورة ، الا أن الاسكندرية سارعت الى اعلان تأييدها للثورة ، وأعلنت القوات البحرية ولاءها للثورة التى عنيت بتأمين الثغر بجزء من الجيش . وفى يوم السبت

٢٦ يوليو توجه القائد العام للجيش اللواء محمد نجيب يرافقه الرئيس الراحل السادات الى مقر الوزراء الصيفي في الاسكندرية ، واتفقا مع رئيس الوزراء على ماهر على تسليم الانذار الموجه من قيادة الثورة الى الملك بالتنازل عن العرش ومغادرة البلاد فى اليوم نفسه . وبالفعل تم توقيع وثيقة التنازل التاريخية فى قصر رأس التين ، وغادر الملك فاروق الاسكندرية الى الأبد متوجها الى ايطاليا .

كذلك شهدت الاسكندرية اعلان تأميم شركة قناة السويس البحرية العالمية فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، الذى كان المقدمة الطبيعية لمؤامرة العدوان الثلاثى على مصر في أكتوبر من نفس العام . وقد لعبت المدفعية المضادة للطيران فى الاسكندرية دورا هاما في حماية الأسطول البحرى المصرى فى الاسكندرية من غارات الأعداء .

وفي الوقت الذى كانت الاسكندرية تشهد هذه التطورات السياسية ، كانت تشهد تطورا عمرانيا وحضاريا لم يسبق له مثيل ، وتحتل مركزا لم تحتله طوال تاريخها الطويل . ففى عام ١٩٢٥ أقيمت ضاحية سموحة بعد تجفيف بحيرة الحضرة وتصريف مياهها الى بحيرة مريوط . وفي عام ١٩٣٤ أنشىء أعظم عمل عمراني بانشاء طريق الكورنيش على امتداد ٢٠

كيلومترا من قصر المنتزه شرقا الى قصر رأس التين غربا ٠ وفى عام ١٩٣٨ أنشىء فى الاسكندرية فرعان لكليتى الآداب والحقوق ، ثم أنشىء فى عام ١٩٤١ فرعا لكلية الهندسة ٠ وكانت هذه الفروع الثلاثة نواة جامعة الاسكندرية التى صدر قانون بانشائها فى عام ١٩٤٢ ٠

وبفضل الكورنيش قامت الاسكندرية ببناء أكشاك الاستحمام والحمامات على امتداد الشاطىء ، كما استغلت هذا الكورنيش الطويل بأن جعلت منه أجمل واجهة لمدينة الاسكندرية ، كما أصبحت حركة الاصطياف من أهم موارد الاسكندرية فى فصل الصيف ٠ وقد انتشرت على طول الشاطىء الكازينوهات السياحية ابتداء من شواطىء المنتزه والمعمورة وأبى قير شرقا ، الى شواطىء العجمى وهانوفيل وسيدى كرير غربا ٠

وكان قصر المنتزه ، وهو القصر الذى كان مقرا صيفيا للأسرة المالكة السابقة قد بنى على ربوة عالية تطل على أجمل شاطىء فى الطرف الشرقى للمدينة ، وسط حديقة كبيرة فريدة تبلغ مساحتها مع الغابات المحيطة بها نحو ٣٧٠ فدانا ٠ وقد أصبحت حدائق وشواطىء المنتزه مفتوحة للشعب بعد قيام الثورة ، التى حولت مبنى السلاملك الملحق بالقصر فندقا سياحيا ٠ وفى عام ١٩٦٤ أقيم فندق فلسطين فى الحديقة ٠ وتم استغلال الشاطىء فى تشييد الكبائن

الجميلة وانشاء المقاصف البحرية • كذلك تم تقسيم أراضى منطقة المعمورة ، وهو الشاطئ الذى كان مخصصا للأسرة المالكة السابقة ، الى مساحات متفاوتة لاقامة الفيلات والعمارات • وتوفرت للمنطقة كافة المرافق والخدمات ، وأصبحت المعمورة بمثابة مدينة عمرانية سياحية كاملة •

وكذلك الحال بالنسبة لمنطقة العجمى فى غرب الاسكندرية ، التى أقيمت فيها ، وفى منطقة هانوفيل ، مدن سياحية تنفرد بطابع معمارى متميز ، وتتوفر فيها الفنادق والفيلات والمحال العامة •

فى وسط المدينة انتشرت الحدائق العامة ، مثل حدائق أنطونيادس ، وحديقة الحيوان ، وحديقة الورد، والحديقة المفتوحة ، فضلا عن حديقة المنتزه ، وحديقة الشلالات ، والمتنزهات الموجودة فى الميادين والطرق العامة ، وتبلغ مساحة هذه الحدائق ٤٥٠ فدانا •

فى نفس الوقت حفلت المدينة بالطرق الكبيرة العامة والميادين الواسعة ، مثل طريق الحرية الذى يمتد من باب شرق حتى منطقة فكتوريا ، وميدان الخرطوم الذى تزينه التماثيل والأعمدة ، وميدان الفريق عبد المنعم رياض الذى تحليه ساعة الزهور والنافورة ، وميدان محطة الرمل الشهير ، وميدان سعد زغلول الذى يتوسطه تمثال الزعيم الكبير ، ومنطقة السلسلة حيث

أقيم تمثال الأشرعة الطائرة الذى نحته الفنان فتحى محمــود تعبيرا عن أســطورة قديمــة ترمز الى مــولد الاسكندرية • كذلك تم شق طريق النصر من الميناء الى وسط المدينة ، وأقيم طــريق قناة الســويس كمدخل جديد للمدينة •

وقد جرى تعديل وتطوير فى موانى الاسكندرية • فلم يعــد المينــاء الشرقى الشــهير بتكوينه الهــلالى ، ووجود جزيرة فاروس عــلى طرفه الغــربى والسلسلة عــلى طرفه الشرقى ، يستخدم كميناء للمدينة ، وهــو الذى كان فى المــاضى مينــاء لســفن الغرب التى كان محظورا عليها الرسو فى الميناء الغربى • وقد تجمعت حول هذا الميناء نواد رياضية واجتماعيــة مختلفــة ، مثل : نادى الصيد ، ونادى اليخت ، والنادى اليونانى، ونادى الكشافة البحرية ، بالاضافة الى معهد الأحيــاء المائية ، ومعهد علوم البحار • وبذلك تحول هذا الميناء الى منطقة للنزهة والتسلية والرياضة •

أما المينــاء الغربى فهو ، الميناء الرئيسى ــ وفيــه ترسو السفن على اختلاف أنواعهــا ، وله عدة مداخــل يقع أهمها ، وهو مدخل الركاب ، عند نهاية شارع النصر الذى يربط الميناء وميدانى التحرير وعرابى فى قلب المدينة • ويبلغ طول هــذا الميناء ٤٨٠٠ متر ، وأكبر عرض له ٢٠٠٠ متر ، ومساحته المائية ٧٥٠٠ متر •

ويضم مخطة ركاب تم بناؤها فى عام ١٩٦٠ ، ومخطة لاسلكى ، وصوامع غلال ، ومراسى للبترول ، و ٨٦ رصيفا مجموع أطوالها ١٠٥٠٠ مترا تستطيع أن تستقبل ٦٥ سفينة فى وقت واحد ٠

وفى نفس الوقت تم تطوير ترسانة الاسكندرية التى بنيت فى عهد محمد على ، حتى أصبحت من أحسن الترسانات الحديثة المتميزة فى بناء واصلاح السفن فى حوض البحر المتوسط ، وقد بلغت مساحتها حوالى ٤٠٠ كيلو مربع ، وطول أرصفتها كيلو مترا ، وتملك امكانيات بناء السفن حتى حمولة ٣٠ ألف طن ، وبها أحواض جافة لاستقبال السفن حتى حمولة ١٠٠٠٠ طن بالحوض الجاف الصغير ، وحتى حمولة ٨٥٠٠٠ طن بالحوض الجاف الحديث ٠

كذلك تم انشاء مجمع لحديد التسليح - بالدخيلة ، وقد جرى انشاؤه فى مايو ١٩٨٢ ، ويبلغ انتاج هذا المجمع حوالى ٧٥٠ ألف طن من جديد التسليح ٠ وهذا المجمع الصناعى هو أحد المصانع التى ازدحمت بها الاسكندرية فى مجال الغزل والنسيج والصباغة والورق والطباعة ، والأسمنت وتكرير البترول والسماد والصناعات الغذائية ، ويبلغ عدد العاملين فيها ما بين ١٥٠ و ١٦٠ ألف عامل ، يمثلون حوالى ٢٢ فى المائة من جملة العاملين فى مجال الصناعة على مستوى الجمهورية،

وهى نسبة مرتفعة اذا علم أن تعداد الاسكندرية يمثل ٤ر١٤ فى المائة فقط من تعداد سكان الحضر بالجمهورية . ويسيطر القطاع العام على النشاط الصناعى فى الاسكندرية حيث يضم حوالى ٥ر٩٣ فى المائة من جملة عدد العاملين فى مجال الصناعة بالمصانع التى يزيد عدد عمالها عن ٢٥ عاملا ، كما أن انتاجه يمثل ٤ر٩٦ فى المائة من جملة الانتاج الصناعى . وتتجمع الصناعات الكبيرة فى مناطق عديدة ، مثل جانبى ترعه المحمودية ، ومنطقة الميناء ، وأبى قير ، والسيوف ، وسموحة ، والدخيلة ، والمكس ، والعامرية . أما الصناعات الصغيرة فمتداخلة فى بعض المناطق السكنية .

وفى خلال ذلك كان قد تم اكتشاف كثير من المعالم الأثرية فى الاسكندرية التى تبرز لمحات من عصور البطالمة والرومان والبيزنطيين والعرب . ففى منطقة كوم الشقافة (قرية راقودة القديمة) يقع عامود السوارى الشهير ، والمقبرة الأثرية التى تم اكتشافها بطريق الصدفة عام ١٨٩٢ . وفى كوم الدكة يقع المسرح الرومانى الذى تم اكتشافه فى عام ١٩٦٤ ، والحمامات الرومانية وبعض مقابر العصر الاسلامى . وفى الأنفاشى (جزيرة فاروس الشهيرة) اكتشفت احدى الجبانات الهامة عام ١٩٠١ ، وهى ترجع فى تاريخها الى العصر البطلمى ، فأصبحت مع قلعة قايتباى الشهيرة معلما شهيرا من معالم الاسكندرية ، بعد أن قامت

مصلحة الآثار المصرية بترميم البناء وتقويته بنفس الأحجار الأصلية بعد اصابته بقنابل الانجليز عام ١٨٨٢ ٠ وقد احتفظت الاسكندرية ببعض صهاريج المياه التى اعتمدت عليها فى العصور القديمة فى عملية تخزين المياه ، وأكبرها صهريج الشلالات الذى يطل على شارع الشهيد صلاح مصطفى ، وهو مربع الشكل ومكون من ٣ طوابق ٠ كذلك اكتشفت مقبرة الشاطبى الأثرية ناحية البحر شمال مدرسة سان مارك ، وهى منحوتة فى الصخر ، وهى من أهم المقابر التى وجدت فى الاسكندرية ، وقد عثر فيها على الكثير من آثار العصر البطلمى ، وأهمها تماثيل التناجرا الشهيرة التى تميز المتحف اليونانى الرومانى ٠ وفى عام ١٩٥٢ اكتشفت بمنطقة كليوباترا مقبرة يرجع تاريخها الى أوائل القرن الثالث الميلادى ، وهى مقبرة شارع تيجران ٠ (بور سعيد الحالى) وتم نقل أجزائها الرئيسية الى منطقة كوم الشقافة حيث أعيد بناؤها ٠ وفى خلال عامى ١٩٣٣ و ١٩٣٤ اكتشفت مقابر منطقة مصطفى كامل فى الشمال الشرقى لثكنات مصطفى كامل ، وتتميز عن المقابر فى بلاد اليونان بالطراز المعمارى الفريد والنقوش البارزة ٠ كذلك اكتشف فى عام ١٩٣٦ معبد الرأس السوداء ، أو معبد ايزيدور ، فى شرقى المدينة ، وهو على الطراز الرومانى الخاص ، وقد أقامه ايزيدور فى القرن الثانى الميلادى هدية للآلهة

ايزيس ، بداخله مجموعة كبيرة من الآلهة الرخامية وتمثل الآلهة ايزيس ، وأوزوزيس كانوب ، وهرمانوبيس ، وحربوقراط • وقد أنشأت الحكومة المصرية في عام ١٨٩٥ متحفا لجمع كنوز وتراث الاسكندرية فى العصور اليونانية والرومانية ، وافتتحه الخديوى عباس حلمى يوم ٢٨ سبتمبر ١٨٩٥ •

والمهم أن الاسكندرية فى عصر الاستقلال الوطنى شهدت من التطور الحضارى والامتداد العمرانى ما لم تشهده حتى فى عصر البطالمة • فهى العاصمة الثانية للدولة ، وهى مركز للاشعاع الثقافى ، ففيها عدة متاحف هى المتحف اليونانى الرومانى، والمتحف البحرى، ومتحف الفنون الجميلة ، ومتحف محمود سعيد ، ومتحف التاريخ الطبيعى، ومتحف ومعهد الأحياء المائية • وفيها مكتبة الاسكندرية التى أنشئت عام ١٨٩١، وتحتوى على أكثر من ربع مليون مجلد عربى وأجنبى ، بالاضافة الى ٤ آلاف مخطوط ، وفيها أيضا أكاديمية الفنون ، واتيليه الاسكندرية •

كذلك فيها الكنائس الهامة ، مثل الكنيسة المرقسية ، التى تأسست فى القرن الأول الميلادى ، وتحتفظ برأس القديس مرقس ، وقد تجدد بناؤها عبر العصور ، وكان آخرها فى نوفمبر ١٩٥٢ ، بالاضافة الى الكاتدرائية الكاثوليكية ، والكنائس الانجليزية ،

والروسية، والمارونية واليونانية والأرمنية والأنجيلية، واللاتين ، والفرنسسكان ، وسنتان مارك ؛ والأباء اللازاريين . فضلاً عن المساجد والمزارات الاسلامية الشهيرة ، التى تطل على الميناء الشرقى ، مثل مسجد أبى العباس المرسى ، ومسجد البوصيرى، ومسجد سيدى ناصر ناصر الدين ، ومسجد سيدى بشر .

وقد اتسعت مساحة الاسكندرية اتساعا هائلاً لم يحدث فى تاريخها ، فهى تشغل شريطا ساحليا يمتد طوله ٧٠ كيلو مترا فى شمال غرب الدلتا ، ويحده البحر المتوسط شمالاً ، وبحيرة مريوط جنوبا حتى الكيلو ٧١ على طريق مصر الاسكندرية الصحراوى ، وخليج أبى قير ومنطقة ادكو شرقا ، وسيدى كرير غربا الى الكيلو ٣٦٫٣ . وتبلغ المساحة الكلية للمحافظة وفقاً لاحصاء ١٩٧٦ أكثر من ٢٦٧٩ كيلو مترا مربعا ، يغطى العمران منها منطقة مساحتها حوالى ١٠٠ كيلو متر مربعا ، تضم مدينة الاسكندرية وضواحيها الجديدة ، وهى كنج مريوط ، والعلمين ، وسيدى عبد الرحمن . ويتكون الباقى من ٤٠ فى المائة أرض زراعية ، و ٣٥ أرضا صحراوية ، ٢٥ فى المائة تغطيه مياه بحيرة مريوط .

ويهمنا من هذه المساحة الامتداد المتماسك للاسكندرية القديمة ، الذى يتمثل فى أحيائها السكنية

الجديدة ، وهي أحياء المنتزه ، والرمل ، وسيدى جابر ، وباب شرق ، ومحرم بك ، والعطارين ، والجمرك ، والمنشية ، واللبان ، وميناء الاسكندرية ، وكرموز ، ومينا البصل ، والدخيلة ، والعامرية ٠

وهذه الأحياء كلها تضم ما يقرب من ثلاثة ملايين نسمة (٢٫٧٢٥٫٦٢١) وفقا لاحصاء ١٩٧٦ ٠ وتتنبأ الدراسات الخاصة بتعداد سكان الاسكندرية خلال السنوات القادمة حتى سنة ٢٠٠٠ ، أن يصل هذا التعداد الى حوالى ٤٫٥٦٦ مليون نسمة ٠ واذا نحن قارنا هذا التعداد بتعداد الاسكندرية عند مجيء الحملة الفرنسية ، وهو نحو ثمانية آلاف نسمة ، فان هذه المقارنة تبين حجم التطور الهائل الذى طرأ على الاسكندرية عبر العصر الحديث ٠

د ٠ عبد العظيم رمضان

من أهم أعمال المؤلف

١ ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩١٨ ـ ١٩٣٦)
(القاهرة : دار الكاتب العربى ١٩٦٨) .

٢ ـ تطور الحركة الوطنية فى مصر (١٩٣٧ ـ ١٩٤٨) ـ مجلدان .
(بيروت : دار الوطن العربى ١٩٧٣) .

٣ ـ الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر ، من ثورة يوليو الى أزمة مارس ١٩٥٤ .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٧٥) .

٤ ـ عبد الناصر وأزمة مارس .
(القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .

٥ ـ الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ ـ ١٩٣٦)
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧)

٦ ـ صراع الطبقات فى مصر (١٨٣٧ ـ ١٩٥٢) .
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨) .

٧ ـ الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩)٠
(بيروت : المؤسسة العربية للدراسـات والنشر ١٩٧٩) ٠

٨ ـ الفكر الثورى فى مصر ، قبل ثورة ٢٣ يوليو ٠
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨١) ٠

٩ ـ المواجهة المصرية الاسرائيليـة فى البحر الأحمر (١٩٤٩ ـ ١٩٧٩) ٠
(القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) ٠

١٠ ـ الأخوان المسلمون والتنظيم السرى ٠
(القاهرة : دار روزاليوسف يناير ١٩٨٣) ٠

١١ ـ الصراع بين العرب وأوروبا ، من ظهور الاسلام الى انتهاء الحروب الصليبية ٠
(القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) ٠

١٢ ـ حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ ٠
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) ٠

١٣ ـ مذكرات السياسيين والزعماء فى مصر ٠
(القاهرة : دار الوطن العربى ١٩٨٤) ٠

١٤ ـ تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ ٠ (جزءان)
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٤) ٠

١٥ ـ الغزوة الاستعمارية للعالم العربي ، وحركات المقاومة .
(القاهرة : دار المعارف) .
١٦ ـ مصر فى عصر السادات (الجزء الأول) .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٦) .
١٧ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .
١٨ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) .
١٩ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .
٢٠ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثاني .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨)
٢١ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٩)
٢٢ ـ مصر فى عصر السادات الجزء الثانى .
(القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٩) .

٢٣ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع .
(القاهرة : الهيئةالمصرية العامة للكتاب ١٩٩٠)

٢٤ ـ الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخي
(القاهرة ١٩٩٠) .

٢٥ ـ حرب الخليج فى محكمة التاريخ .
(القاهرة : الزهراء ـ ١٩٩٠) .

٢٦ ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية ١٩٤٨ ـ ١٩٧٩
(القاهرة : سلسلة تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .

٢٧ ـ مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢)

٢٨ ـ الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣)

٢٩ ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣)

مع آخرين :

١ ـ مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق
(القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٢ ـ تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق و د. رءوف عباس .
(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٣ ـ تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق و د. رءوف عباس .
(القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

كتب مترجمة :

١ ـ تاريخ النهب الاستعمارى لمصر (١٧٩٨ ـ ١٨٨٢) تأليف جون مارلو .
(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦)

● صدر من هذه السلسلة :

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ
د· عبد العظيم رمضان

٢ ـ على ماهر
اعداد : رشوان محمود جاب الله

٣ ـ ثورة يوليـو والطبقة العاملة
اعداد : عبد السلام عبد الحليم عامر

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة
د· محمد نعمـــان جلال

٥ ـ غارات أوربا على الشـــواطىء المصرية فى العصور الوسـطى
عطية عبـد السـميع

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ ١
لمعى المطيعى

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى
د· عبد المنعـم ماجـد

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية
د· على بركـات

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل
د· محمـــد أنيس

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية
محمود فـوزى

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية
شــكرى القاضى

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير
د. نبيل راغب

١٣ ـ اكذوبة الاستعمار المصرى للسودان
د. عبد العظيم رمضان

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة
د. سيدة اسماعيل كاشف

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسلامى
د. علي حسن الخربوطلى

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر
د. حلمى أحمد شــلبى

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى
د. محمد نصر فرحــات

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية
د. علي السيد محمود

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين
د. أحمد محمود صــابون

٢٠ ـ المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى
د. محمد أنيس

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ١
توفيــق الطــويل

٢٢ ــ نظــرات فى تاريخ مصر
جمــال بدوى

٢٣ ــ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى جـ ٢
توفيق الطــــويل

٢٤ ــ الصـــحافة الوفــدية
د٠ نجـــوى كامل

٢٥ ــ المجتمع الاسلامى ــ جـ ١
ترجمة : د٠ عبد الرحيم مصطفى

٢٦ ــ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحـــديثة
د٠ سعيد اسماعيل على

٢٧ ــ فتح العرب لمصر جـ ١
ترجمــة : محمد فريد ابو حـديد

٢٨ ــ فتح العرب لمصر جـ ٢
ترجمــة : محمد فريد ابو حــديد

٢٩ ــ مصر فى عهـــد الاخشــيديين
د٠ ســيدة اسماعيل كاشف

٣٠ ــ الموظفـــون فى مصر
د٠ حلمى أحمد شلبى

٣١ ــ خمسون شخصية وشخصية
شــكرى القـــاضى

٣٢ ــ هؤلاء الرجال من مصر جـ ٢
لمعى المطيعى

٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الافريقى
د• خـالد الـكومى

٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغـربية
د• يونان لبيب رزق

٣٥ ـ اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة
عبد الحميـد توفيق زكى

٣٦ ـ المجتمـع الاسلامى والغـرب ج ٢
ترجمة : د• احمد عبد الرحيم مصطفى

٣٧ ـ الشيخ على يوسف
تأليف : د• سليمان صالح

٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتمـاعى فى العصر العثمـانى
د• عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

٣٩ ـ قصـة احتـلال محمد على لليونان
د• جميـل عبيـد

٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب ١٩٤٨
د• عبد المنعم الدسوقى الجميعى

٤١ ـ محمد فريد الموقف والمأسـاة
رفعت السـعيد

٤٢ ـ تكوين مصر عبد العصور
محمـد شفيق غربال

٤٣ ـ رحلة فى عقـول مصرية
ابراهيمعبـد العـزيز

٤٤ ـ الأوقاف والحيـــاة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمـــانى
د٠ محمـــد عفيفى

٤٥ ـ الحـــروب الصـــليبية
تأليف : وأيم الصـــورى
ترجمة : أ٠د٠ حســن حبشى

٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩ : ١٩٥٧
تأليف : د٠ عبـد الرؤوف أحمد عمرو

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث
تأليف : أ٠د٠ لطيفة محمد سالم

٤٨ ـ الفـلاح المصرى
تأليف : د٠ زبيـد عطـا

٤٩ ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية
تأليف : أ ٠ د ٠ عبد العظيم رمضان

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية
تأليف : د ٠ سهير اسكندر

٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الاسلامية
اعداد : د ٠ عبد العظيم رمضان

٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقنـاصل الفرنسـيين فى القرن الثامن عشر
تأليف : د٠ الهام محمد على ذهنى

٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك
د٠ محمد كمال الدين عز الدين على

٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى
تأليف الدكتور محمد عفيفى

٥٥ ـ الحروب الصليبية ج ٢
ترجمة وتحقيق د • حسن حبشى

٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على
د • حلمى شلبى

٥٧ ـ مصر الاسلامية واهل الذمة
د • سيدة اسماعيل كاشف

٥٨ ـ احمد حلمى سجين الحرية والصحافة
د • ابراهيم عبد الله المسلمى

٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية
عبد السلام عبد الحليم على

٦٠ ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية
عبد الحميد توفيق زكى

الفهـرس

صفحة

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٥١٨ / ١٩٩٢

ISBN — 977 — 01 — 3313 — 2

هذا الكتاب

يتيح للقارىء الإحاطة بتاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الحديث ويتابع حالة الاسكندرية قبل الحملة الفرنسية والمحاولات التى مهدت لها لإعادة إحياء الطريق البرى بين السويس والإسكندرية ووصول الأسطول الانجليزى بقيادة نلسون إليها قبل وصول الأسطول الفرنسى ، والصراعات السياسية والعسكرية الدولية والمحلية التى دارت فى الاسكندرية أثناء الحملة الفرنسية حتى خروجها من مصر . كما يتناول الاسكندرية فى فترة الاحتلال الانجليزى الأول ، وفى عهد الفوضى المملوكية ، وحملة فريزر ، وولاية محمد على للحكم . كما يتابع محاولات محمد على لإحياء الاسكندرية وإعادتها الى مكانتها التى فقدتها على مدى قرون . وأوضاع الاسكندرية أثناء الثورة العرابية ، وإحراقها على يد سليمان داود عند انسحاب القوات العرابية . ثم حالة الاسكندرية فى أثناء الاحتلال البريطانى ، وزيادة الطابع الأوروبى لها ، ونشاط الأوروبيين فيها . وينتهى بما صارت اليه مدينة الاسكندرية فى عهد الاستقلال الوطنى ، وتفوقها على مركزها الأول .


Bibliotheca Alexandrina
0700931

١٦٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب